
النشر لمن يستحق
قصص
إسلام صلاح
جندي مجند

إسلام صلاح

"جندي مجند"

كيان كورب للنشر والتوزيع

(دار ليلى)

الكتاب:

جندي مجند

المؤلف:

إسلام صلاح

الغلاف:

محمد محمود

الإخراج الفني:

حسام سليمان

التدقيق اللغوي:

محمد عبد الغفار

★★★

إدارة التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★



رقم الإيداع: 21464/2011

الترقيم الدولي: 978-977-6386-76-1

المهندسين-23 شارع السودان—تقاطع مصدق-الدور الرابع—مكتب 11

هاتف: (002) (012) 3885295 - (002) (02) 33370042

البريد الإلكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

إسلام صلاح

"جندي مجند"

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى



مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب).. منذ ما يزيد على أربع سنوات.. قد أطلقت مشروعها (النشر للجميع.. ولمن يستحق) الذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها.. التي أصبح البعض منها كُتابًا محترفين بعد ذلك.. أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة.. لمعوا من خلالها.

ومع ازدياد كمٍّ الأعمال التي يبدعها الشباب –خاصة بعد ثورة 25 يناير العظيمة– وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر.. أصبحت سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة.. خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات.. وإحجام كثير من دور النشر عن ممارسة نشاطها بتوسع.. وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري.. كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر.. التي تخيف طرفيها –الناشر والقارئ– على حدٍّ سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت

-بشدة- اقتصاديا.. ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال.. فكرنا في حل بديل.. هو "النشر لمن يستحق".. وتطورت الفكرة كثيرًا.. إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية.. وحرصًا منها على استمرارها في دورها.. وإيمانًا منها -كما عهدتموها- بالشباب الموهوب.

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها "النشر لمن يستحق" لفترة محدودة هذا العام.. وعلى مراحل.. وبشكل استثنائي.. لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائج.. على رأسها:

– توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم.. وأيضًا عبر دار نشر لها اسمها.. ولله الحمد.. مع كبار الكتاب.

– تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب؛ حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد.. مع هامش ربح خفيف.. إضافة إلى الغرض الأسمى.. وهو أن يرى أعماله منشورة.

– تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب.. عبر شكل

وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية.. كما هي عادة عقود "دار ليلى".

- توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصرية.. الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى -عز وجل- أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح.. وأن ينال مشروعنا رضاكم.. وكلنا ثقة أن كثيرًا من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع ستصبح -مثل سابقيها- بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدَّة.

الناشر



إهــداء طويـل

أعتذر أني سأطيل في إهدائي هذا، ولكن إطالتي بسبب أن هذا الكتاب هو كتابي الأول، وأرى أنه واجب علي حقا أن أهديه لكل من شجعني ودعمني، ولكل من كان وجوده في حياتي ملهما لي.. حتى ولو كان وجوده هو في خيالي فقط، وهؤلاء هم كثيرون حقا..

ولكي لا أطيل أكثر، أبدأ إهداءاتي على بركة الله..

أهــدي هذا الكتــاب..

إلى أبي وأمي اللذين ربياني على هذا النحو..

إلى أخي أحمد، أول من عرفني بالقلم والورقة.. وإلى أخـــي إبراهيم أول من قرأ لي من عائلتي..

إلى جميع الكتاب الذين قرأت لهم وكانوا سببا في حبي للقراءة وحبي للكتاب، وساهموا في تكوين فكري ولو بحرف واحد، ولأنه لن يتسع المجال لذكرهم كلهم بالطبع، أخص منهم بالذكر:

الدكتور (نبيل فاروق) أحد الرعاة الأساسيين للأجيال الشابة المثقفة الحالية..

وإهداء خاص مني إلى صاحبة سلسلة الروايات العالمية، (هاري بوتر) العبقرية والمفضلة بالنسبة لي، إلى الكاتبة التي لا أعرف عنها شيئا تقريبا غير اسمها وجنسيتها، إلا أني أهدي هذا الكتاب لها لعبقرية خيالها، إلى الكاتبة البريطانية (جوان رولينج) أو المعروفة باسم (ج.ك.رولينج)..

وأنتقل إلى الكتاب الشباب:

إلى الكاتبة الشابة (عزة بندق) والكاتبين الشابين المتميزين (عصام منصور) و(خالد بيومي)، الذين شجعوني بطريقة غير مباشرة، ولكن تشجيعهم كان مهما و مؤثرا جدا بالنسبة لي..

وإلى الكاتبة العظيمة تحت الإنشاء.. (ندى فتحي أحمد)..

وإلى أصدقائي الذين شجعوني، وأخص منهم بالذكر.. محب القصص (محمود حسين) والرجل الطيب (أحمد إبراهيم)، وصديقي الفنان (يوسف الشاذلي)..

وإلى صديقي "الطموح إلى الأفضل دائما".. (محمد الحداد)..

وإلى آخرين كثيرين، أعتذر منهم لعدم استطاعتي أن أذكرهم

جميعا الآن..

بل وآخرين أيضا شجعوني من دون حتى أن يعرفوا اسمي، وهؤلاء أوجه لهم إهداء خاصا وشكرا جزيلا لدعمهم لي بدون شروط..

وإلى هنا أنتهي من إهداءاتي..

ولكن يبقى لدي فقط..

إهـــداء واحد و أخيـــر..

وأصر عليه..

لأنه بالنسبة لي.. إهـــداء واجـــب..

ففي هذا الإهداء..

أهـــدي هذا الكتـــاب..

إلـــــيـــها..

"أيتها الصفحات التي لن تنشر! ما أنت إلا نافذة أطلق منها حريتي في ساعات الضيق"

- من كتابات : توفيق الحكيم .

الفصل الأول

كنت قد ذهبت إلى جريدة إقليمية في بلدتي الصغيرة..

كـان مبنـى الجريـدة قريبًـا مـن منزلـي.. لدرجـة أنـني ذهبـت بـ(الشبشب) الذي اعتدت الذهاب به إلى أي مكان قريب..

ذهبت وأنا أحمل في يدي مقالة كنت قد كتبتها عن أحـداث كانـت جارية في ذلك الوقت..

كانت أول مرة في حياتي أدخل فيها مبنى جريدة..

في الحقيقة.. كانت أصلاً أول مرة أذهب فيها لأري شخصًا لا أعرفه شيئًا كتبته..

كان عندي التفكير والطموح آنـذاك أن أنـشر مقـالتي في الجريـدة.. ويُكتب اسمي تحت عنوان مقالتي.. وأحيانًا كنت أحلم بأن توضـع صـورتي بجانب المقالة.. فيقرأ الناس كلماتي التي كتبتها بيدي وقلمـي.. ويحفظـوا اسمي ويروا صورتي.. فيعرفوني وأصبح مـشهورًا.. مـع أنـني كنـت أعلـم

جيدًا أنه لا أحد تقريبًا يشتري تلك الجريدة الإقليمية الشهرية المغمورة!

وبصراحة.. كون تلك الجريدة من الجرائد التي تبقى إلى آخر لحظة في أكشاك بائعي الجرائد ليتراكم عليها غبار السنين ثم يضطر البائع أن يستخدمها في النهاية في أغراض أخرى غير القراءة.. كان ذلك عاملاً من ضمن العوامل التي جعلتني أظن أنه من الممكن أن يفتحوا أبوابهم لكاتب هاوٍ ومبتدئ وصغير السن مثلي..

على أي حال.. دخلت بوابة مبنى الجريدة - الذي كان في الأصل قصرًا قديمًا وأثريًا تعود ملكيته للملك فؤاد أو الملك فاروق.. فالمبنى يتسم بتلك الأبواب الطويلة والأسقف المرتفعة جدًّا والجدران المتشققة العتيقة.. واختلط ذلك كله بالقلق من مجازفتي التي كنت أقوم بها.. ليشكل في داخلي رهبة.. بذلت كل ما أستطيع لأخفيها..

عندما دخلت لم أجد غير باب واحد مفتوح من بين أبواب عدَّة مغلقة..

اتجهت إليه وطرقت الباب بخجل ودخلت..

وجدت ثلاثة أو أربعة أشخاص.. يجلس كل منهم على مكتب من تلك المكاتب الحديدية التقليدية التي تجدها في أي مصلحة حكومية.. وقد ارتسمت هيئة كل واحد منهم بنفس أسلوب هيئة الموظف المصري التقليدي الأصيل!

ساعتها تأكدت أن هذه الجريدة هي أقرب ما تكون إلى مجرد مصلحة حكومية..

على أي حال.. بعدما دخلت توجهت لأتكلم مع من بدا ولو للحظة أنه مهتم بما أريد وبمن أكون..

أخبرته أني جئت لأعرف إن كان بالإمكان نشر مقالتي هذه..

نظر فيها نظرة خاطفة متعجلة.. ثم رفع نظره ليطيل النظر إليَّ.. ليبدو وكأنه قد أدرك أخيرًا أنني صغير السن..

أخبرني بهدوء أن رئيس التحرير – أو على حد قوله "الريِّس" – سوف يسعد برؤية شخص صغير السن مثلي يحب الكتابة..

وقال لي إنه يمكنني أن آتي لمقابلة "الريِّس" الأربعاء المقبل.. وسوف يكون قد أطلعه على مقالتي هذه قبلها..

شكرته شكرًا جزيلاً.. واتخذت طريقي عائدًا إلى البيت..

وقد اختلط الشعور في داخلي بين القلق الذي من الطبيعي أن يتبع المرة الأولى التي أري فيها شخصًا غريبًا شيئًا كتبته.. والحماسة التي قد تتسم بالسذاجة.. لاعتقادي المبالغ فيه أن ثمة شيئًا مهمًّا أنا في طريقي إليه..

وعلى العموم.. فلقد كان لديَّ موعد مع "الريِّس".. بذات حاله!

* * *

انتظرت الأربعاء يأتي بفارغ الصبر..

وحينما جاء ذهبت إلى الجريدة على الفور..

ذهبت بـ(الشبشب) مجددًا..

ولا أدري لماذا!

على أي حال.. وصلت لمبنى الجريدة.. ودخلت الغرفة نفسها التي دخلتها سابقًا..

حالما رأوني..

أخذوني لأدخل على الفور لرئيس التحرير..

وأدخلوني غرفة واسعة من تلك الغرف القديمة من ذلك المبنى العتيق! وكل ما فيها من الأثاث القليل هو عتيق أيضًا..

رأيت رجلاً مشغولاً تبدو على ملامحه الجدية.. يجلس على رأس طاولة طويلة قد اصطف حولها شباب وشابات.. فهمت أنهم طلبة كلية ما بعد ذلك..

كان ذلك الرجل هو "الريِّس".. رئيس التحرير..

عرَّفني من أدخلني وقال له إنني من كتبت المقالة..

أشار رئيس التحرير إليَّ بالجلوس على كرسي مجاور..

وعلى الفور بدأ الحور بيني وبينه..

تعرف عليَّ في البداية..

ثم سألني علام استندت وأنا أكتب المقالة..

لم أفهم السؤال مباشرة.. فحاول هو شرحه..

فأجبت أنني استندت على ما أراه.. فكتبت عن رأيي في المقالة..

سألني علامَ بنيت هذا الرأي..

قلت له: على قراءاتي القليلة..

قال: وماذا قرأت؟

شعرت أن الحوار قد تحول إلى أقرب ما يكون إلى استجواب؛ لأنه كان يسأل.. وأنا أجيب فقط..

لكني ذكرت له أسماء كتب قليلة جدًّا.. تُعد على أصابع اليد الواحدة.. وذكرت له أسماء مؤلفيها.. وفي الحقيقة لم يكن أيٌّ من هذه الكتب له صلة بموضوع المقالة التي كتبتها..

إلا أنه أشاد بتلك الكتب.. وقال لي أن أستمر في القراءة..

وهذا ما كنت أنوي فعله على أي حال..

في نهاية الأمر.. قال لي: إن المقالة كانت جيدة.. لكنها على أحداث مرت وانتهت..

وقال لي أن أكتب مقالة جديدة أخرى وأن أحضرها معي الأربعاء

المقبل..

فهو لا يحضر إلى الجريدة إلا كل أربعاء..

فقط..

وهكذا.. رجعت إلى البيت مضطرًّا أن أنتظر إلى الأربعاء التالي..

كتبت مقالة أخرى في حجم المقالة الأولى تقريبًا..

وانتظرت للأربعاء..

وحينا جاء الموعد..

ذهبت مجددًا..

ودخلت لرئيس التحرير..

أخذ مني المقالة واطلع عليها لبضع ثوانٍ..

أظنه قد قرأ نصفها فقط أو ربما أقل..

وأشار لي أن أجلس..

وبدأ حوار آخر مجددًا..

وقال لي إن المقالة بها تعبيرات نالت من البلاغة مرتبة جيدة.. وإنها تعبيرات وأساليب ممتازة جدًّا بالنسبة لشخص في سني.. وإنها تعبيرات قد لا يستطيع هؤلاء الطلاب استخدامها أو الوصول إليها (وأشار بيده إلى الشباب والشابات المصطفين حول الطاولة.. وقد أدركت أنهم نفسهم الذين كانوا

يجلسون الأربعاء الماضي وبالترتيب نفسه ربما.. بدوا كأنهم ظلوا جالسين من الأربعاء الماضي.. كالصخور التي نُحتت في موضعها وظلت جامدة لسنين.. إلا أنهم ابتسموا ابتسامة باردة مصطنعة حينما أشار لهم "الريِّس")..

قال لي "الريِّس" إنه ليس لديه مانع في نشر المقالة.. إلا أنها طويلة.. ولن يستطيعوا أن ينسقوا لها مكانًا على ورق الجريدة..

وقال لي أن أحاول أن أكتب شيئًا قصيرًا يمكن نشره في الجريدة.

رجعت إلى البيت وأنا أشعر أني أمام العقبة الأخيرة..

أكتب مقالة أُوجِزُها في كلمات قليلة.. وسيتم نشرها على الفور!

وكانت في داخلي حماسة كبيرة.. لدرجة أنني كتبت مقالتين اثنتين..

بالكاد بلغت الواحدة منهما نصف الصفحة..

وانتظرت ليوم الأربعاء..

ثم ذهبت مجددًا..

أدخلوني لـ"الريِّس".. ووجدته يجلس مع رجل عرفت من الوهلة الأولى أنه مسئول أو رجل ذو منصب من البلد..

وقد كان فعلاً مسئولاً حكوميًا تابعًا لإحدى الوزارات..

المهم..

ناولت "الريِّس" المقالتين.. وقد شعرت بأن تلك هي النهاية..

نهاية سعيي لنشر كلماتي..

وبالطبع..

لم تكن كذلك..

على الإطلاق..

فلم أكن إلا على أعتاب..

ما قبل البداية..

* * *

أخذ المقالتين ونظر عليهما نظرة سريعة.. أظنه بالكاد قد قرأ سطرين من كل مقالة..

أخفض المقالتين عن عينيه وقال لي أن أجلس وأنتظر حتى ينتهي حواره مع الضيف (المسئول الذي كان يجلس بجواره)..

جلست.. وانتظرت وصبرت..

حتى انتهى ذلك الحوار..

وناداني "الريِّس".. وقال لي إن المقالتين كانتا جيدتين جدًّا..

ثم قال لي لو كنت أكتب القصة القصيرة لكان أمر نشرها أسهل..

ثم سألني مباشرة: "هل تكتب القصة القصيرة؟"..

فاجأني السؤال.. فرددت بتسرع مختلط بالحماس ومن دون تفكير قائلاً: "نعم"..

وفي الحقيقة..

لم تكن لديَّ أدنى تجربة سابقة عن كتابة القصة القصيرة.

فرح "الريِّس" لردي بالإيجاب.. ورجعت إلى بيتي على اتفاق معه بإحضار قصة قصيرة الأربعاء المقبل..

ومضى نصف الأسبوع..

وأنا أفكر في القصة القصيرة التي سأكتبها..

وأخذ عقلي يدور ويدور.. ويعتصر جاهدًا..

كانت ثمة فكرة قد شغلت خيالي قبلها بسنوات.. وأنا في سن صغيرة جدًّا..

كانت الفكرة طفولية وغير راشدة على الإطلاق..

لكني كنت أؤمن بأن ثمة قصة تأتي من ورائها..

ثمة أحداث من الممكن أن تبنى عليها..

جاءت الفكرة في عقلي أول مرة حين كنت واقفًا في شارع من الشوارع..

فحـدث بالـصدفة هـدوء نـسبي فيـه.. وخلـوه مـن المـارة للحظـات وجيزة..

لكني لاحظت ذلك..

وبشدة..

وتعمق عقلي في هذا المشهد..

وعنه نتج هذا التساؤل: "مـاذا يحـدث لـو اختفـى كـل النـاس مـن الوجود فجأة؟"..

تساؤل غريب.. وربما طفولي.. أعترف بذلك..

لكنه كان يجذب عقلي..

وعلى الفور.. اشتريت رزمة من الأوراق لأكتب عليها..

أحضرت الأوراق لمكتبي.. وجلست..

أمسكت قلمي بيميني..

لأكتب أول قصة قصيرة في حياتي..

وكتبت..

قصة

صابر والآخرون

* * *

"فقط.. لو اختفى كل الناس من الوجود.. فقط حينها...".

قالها (صابر) وهو في غاية اليأس.. لدرجة أنه شعر بعدم القدرة على الإكمال..

لقد كان (صابر) مخترعًا.. وكانت فكرة اختراع من شأنها أن تحل مشكلة من مشاكل البلد الكبرى تسيطر على ذهنه.. وقد بدأ في تحويلها إلى واقع.. وخطط لها وبدأ في تنفيذها منذ نحو عشر سنوات.. لكنه ما إن يصل إلى مرحلة معينة يحدث ما يدفع (صابر) إلى حد الجنون.. فقد كان شيء ما في اختراعه يحدث له كارثة.. شيء مختلف كل مرة.. لكن الكوارث كلها تقريبًا بسبب أخطاء الآخرين.. أو هكذا كان يظنها (صابر).. حتى أصبح يتمنى عدم وجودهم.. ورسخت هذه الأمنية في باله وذهنه حتى بلغت ذروتها عندما نطق تلك العبارة..

وفي وسط هذه الهموم والخواطر والأمنيات كلها ألقى (صابر) نفسه على سريره.. متمنيًا أن يريح النوم الطويل العميق آلام يأسه..

استيقظ (صابر) وهو ربما يظنه يومًا عاديًّا..

يظنه يومًا كأي يوم..

ولكنه ما إن أفاق حتى شعر بأن هناك شيئًا ما يخبره بأنه ليس كذلك..

ليس كذلك على الإطلاق..

فقد لاحظ (صابر) أن الشارع الذي تطل عليه شقته.. الذي كان يمتلئ بالضوضاء وصيحات من هنا وهناك بطريقة توقظ (صابر) في العادة زاجرًا نافرًا..

لقد زال الصوت نهائيًا منه..

لكن (صابر) قرر أن يتجاهل ذلك ويذهب لإعداد قهوته التي اعتادها كل صباح.. لكنه وجد البن قد نفد.. فقرر الذهاب ليشتري مزيدًا منه..

وما إن فتح الباب حتى رأى كيس القمامة موجودًا على حاله.. لم يأتِ ذلك الرجل الذي يأتي لأخذه والمنتظم في عمله.. هذا الشيء الذي نادرًا ما يحدث..

بل تقريبًا لا يحدث على الإطلاق..

نزل (صابر) السلم لتزداد دهشته وصدمته..

فالشارع خاوٍ من أي مار أو أي بشر.. وأخذ يطوف هنا وهناك.. لكنه لم يجد أحدًا..

لقد اختفى البشر..

فأصبح (صابر) في حالة تشويش ذهني.. وما استطاع أن يفعل غير أن ذهب إلى بيته لينام من جديد.. لعله يكون حلمًا وينتهي..

ونام (صابر)..

ثم استيقظ بعدها بعدة ساعات لينزل على الفور إلى الشارع.. لكنه وجده كما هو.. خاويًا تمامًا!

ربما لم يكن حلمًا..

في موقف غريب على (صابر).. لم يعرف ما عليه أن يفعل..

وقرر أن يتعايش مع الأمر؛ إذ إنه - من الواضح - أن (صابر) ليس بإمكانه تغيير هذا الوضع الغريب..

وفكر (صابر) في أنه لم يهتم أصلاً وهو كان يتمنى عدم وجودهم.. وكان يتمنى زوالهم.. ففكر أنها فرصته ليبدأ في العمل على اختراعه..

من دون الآخرين..

ومن دون إزعاجهم..

وعاش (صابر) يومًا أو اثنين..

مرا صعبين ثقيلين عليه وهو في وضعه الغريب هذا..

لكنه ببساطة..

لم يستطع أن يكمل..

لقد بدأت تضيق نفسه.. وبدأ يشتاق لوجود الآخرين وبدأ اشتياقه وضيقه يزيدان ويزيدان..

حتى وصل إلى ذروة الضيق الفعلية..

وذروة اليأس الحقيقية..

ونزل (صابر) إلى الشارع بكل ما يحمل من ضيق واشتياق..

أخذ يدور وهو فاتح ذراعيه..

أحس أن الدنيا قد ضاقت عليه..

وبضعف إنساني واستسلام..

جثا (صابر) على ركبتيه..

ونادى بأعلى صوته..

نادى بالكلمة الوحيدة التي وجدها أكيدة في داخله في تلك اللحظة..

صرخ مناديًا"

"الله"..

قالها بأعلى صوته.. قالها متمنيًا..

وقالها مستغيثًا..

وراجيًا..

وسقط على الأرض وأغمض جفنيه من انفطار قلبه..

"صابر! صابر! يا صابر!"..

فتح (صابر) عينيه ليجد صديقه (حامد) يوقظه وهو ينام في الشارع على رصيف من أرصفته..

قال (صابر) غير مصدق : حامد! ونظر من حوله ليجد الناس والبشر..

فحمد الله واستراحت نفسه..

على الرغم من دهشته..

ثم وجد تلك المرأة التي تنظف له معمله والتي تسببت في فساد اختراعه

آخر مرة..

وجدها تنظر إليه بانكسار وبهدوء..

فاعتذر لها (صابر) عن آخر مرة وبخها فيها بسبب ما حصل..

اعتذر لها بهدوء وببساطة..

وعرض على (حامد) أن يشاركه في العمل على اختراعه..

و...

وبدأ الناس يلاحظون على (صابر) التغير..

التغير للأفضل.. في نواحٍ كثيرة..

ولكن يمكن تلخيصها في أن عبسه الذي كان يسود وجهه دومًا قد حلت مكانه ابتسامة..

ابتسامة متفائلة..

للأفضل..

ونجح (صابر) في اختراعه بعد سنوات معدودة..

نجح فيه بالاشتراك مع صديقه..

ونجح فيه بالتعاون..

مع الآخرين.

* * *

بعدما انتهيت من كتابة القصة..

القصة القصيرة الأولى في حياتي..

أمسكت الورق الذي كتبتها فيه وأنا أنظر إليه..

كنت أشك فعلاً أن تُقبل هذه القصة للنشر في الجريدة..

أصلاً ما كنت أريده أن تنشر مقالاتي وليس قصصي..

كان يبدو لي هذا مبررًا جيدًا لعدم الذهاب للجريدة مرة أخرى..

لكن شيئًا ما داخلي دفعني إلى الذهاب..

فقد كنت عاهدت نفسي على الإصرار.. لأحقق حلمي (الذي كان في ذلك الوقت مجرد نشر كلماتي في جريدة.. أي جريدة)..

وكنت مقتنعًا بأنه حتى لو نُشر لي ولو لمرة واحدة فقط في تلك الجريدة..

فذلك سيعطيني ميزة عند التقدم للنشر في جرائد أخرى!

وبتلك الأفكار.. وبهذا الاعتقاد.. أخذت قصتي المكتوبة بخط اليد لأكتبها على الحاسوب لتكون أكثر تنظيمًا.. ثم طبعتها تحضيرًا لأن أصطحبها معي إلى الجريدة..

ومجددًا..

انتظرت إلى الأربعاء.. وحملت قصتي بيدي..

ثم ذهبت..

ودخلت لأقابله..

لأقابل "الريِّس"..

وناولته القصة..

وكالعادة.. أخذها وقرأ منها سطرين تقريبًا..

ثم قال لي إن هناك تعبيرًا ما في القصة لم يعجبه..

ومن دون أي رد فعل منتظر مني.. نادى على امرأة تعمل في الجريدة.. ولم أعرف ما عملها بالضبط - تارة أشعر من كلامها أنها صحافية أو كاتبة بالجريدة.. وتارة أخرى أشعر أنها سكرتيرة أو ما شابه..

ولا أعتقد أن هذا كان ليفرق كثيرًا!

المهم..

قال لها "الريِّس" أن تتصل بشابة.. ذكر لها اسمها - وشعرت بأني أعرف ذلك الاسم - وقال لها أن تخبرها بأن تأتي بسرعة لأن "الريِّس" يريدها..

وعلى الفور شعرتُ أن هذا الموضوع له علاقة بي أنا!

عرفت بعد ذلك أن تلك الشابة كانت قد نُشرت لها قصة قصيرة في الجريدة.. وكانت حقًا ممتازة.. وتنم عن امتلاك كاتبتها موهبة فريدة..

في الحقيقة.. كنت بالفعل قد قرأت تلك القصة بنفسي..

في المرة الوحيدة التي اشتريت فيها تلك الجريدة المغمورة التي كنت أقف في مبناها حينها!

ذهبت تلك المرأة لتنفذ أمر "الريِّس".. بينما أخبرني أنا أن أجلس وأنتظر وصول تلك الشابة..

وكذا فعلت..

لم يكن لديَّ مانع أن أفعل..

فلم يكن لديَّ شيء آخر لأفعله على أي حال..

لا أدري كم انتظرت من الوقت..

ربما نصف ساعة أو ربما أكثر..

ثم أخيرًا.. رأيت شابة تدخل من الباب..

نظرت إلى وجهها فرأيته يشابه ذلك الوجه الذي يظهر في تلك الصورة التي تتخذ مكانها أعلى القصة القصيرة التي قرأتها في ذلك العدد من الجريدة.. فعرفت أنها هي..

دخلت.. ومرت عليَّ..

لكني لم أنطق بكلمة..

فقط.. انتظرت إلى أن سلمت على "الريِّس".. ثم ناداني هو لتتعرف

عليًّ..

سلمنا على بعضنا ثم جلسنا في مكان هادئ..

ذهبنا إلى ذلك المكان الهادئ الذي لم يكن خارج غرفة "الريِّس"؛ لأنها – تقريبًا – الغرفة الوحيدة في مبنى الجريدة كله!

على أي حال.. حين جلسنا.. بدأت تكلمني..

كانت شابة جميلة بسيطة.. هادئة الملامح والكلمات..

بدأت تتعرف عليَّ وعلى سبب انجذابي للكتابة..

كنت أحاول الإجابة ببساطة.. لكن كان يجول بخاطري في ذلك الوقت أن تلك الشابة – صغيرة السن – هي في الحقيقة تكبرني سنًّا بكثير.. فهي خريجة جامعة..

وأنا ما زلت في التعليم ما قبل الجامعي..

ما علاقة هذا بما كنا فيه؟! ما زلت لا أدري حتى الآن!

وعلى العموم..

فقد ناولتها القصة..

وأخذت تقرؤها..

أخذت تقرؤها بتعمق شديد.. وأخذت أنا أراقب عينيها اللتين وجدتهما وكأنهما حقًّا تعيشان بين الكلمات..

حينها اختلط في داخلي شعوران اثنان ناتجان عن ظنين اثنين..

الأول: أنني شعرت بالحماس وبالتشجيع؛ لأنني أخذت أقول في نفسي إنه لا بد أنها تعمقت في الكلمات لأن ما كتبته جذبها حقًا.. وأن هذه القصة هي من أفضل القصص التي قرأتها قبل ذلك.. وأظن لولا أني أعرف تواضع ما كتبت لكان استولى عليَّ الغرور كليًّا!

والثاني: عكس الأول تمامًا.. وهو الخوف من شكي فيما إذا كانت حتى تقرأ القصة بالفعل.. أم أنها أصيبت بحالة شرود تام نتيجة الملل الشديد من القصة!

لم أعرف أي الظنين هو الصحيح..

فأخذ الشعوران يتضاربان في داخلي.. إلى أن رمشت بعينيها فجأة وترفعهما عن الورق وهي تقول: "قصة جميلة جدا!"..

ثم نظرت إليَّ لتكمل بأنها أُعجبت بفكرة القصة.. وأنها شخصيًّا منجذبة إليها وتستخدمها في كثير من قصصها..

ثم بدأت تدريجيًّا تخبرني بنصائح..

نصائح لم أنسها مع أني نسيت اسمها هي..

ولا أظنني سأنساها أبدًا..

فقد عرفت بعد ذلك أن هذه النصائح هي إيجاز مبادئ فن القصة

القصيرة..

قالت لي: "أولاً: عندما تولد فكرة قصة في عقلك.. ستجد حماسة كبيرة لها في نفسك.. وستجدها تشغل خاطرك.. حينها.. سارع إلى الإمساك بقلمك واكتب كل ما يجول بخاطرك بحرية.. فالفكرة قد تبقى في عقلك.. لكن الحماسة لا تبقى أبدًا.. ولا تتوقف عند خطأ إملائي أو نحوي أو غير ذلك.. فقط اكتب ما تريد في أول مرة.. وبعد أن تنتهي أعد قراءة ما كتبت وصحح الأخطاء التي تجدها..

- حاول أن تكون قصصك مجهولة النهاية إلى أن يصل القارئ إلى السطور الأخيرة التي تخبره بها.. بمعنى أن عليك أن تجعل القصة من بدايتها لا تنبئ بالنهاية الفعلية للقصة.. فاجعلها لا تنبئ القارئ بنهاية محددة أو اجعلها تنبئه بنهاية مختلفة تمامًا عن التي كتبتها؛ لتكون مفاجأة القارئ في سطور النهاية للقصة.. وتذكر أنه كلما زاد توقع القارئ لنهاية القصة الفعلية قلَّ تأثير القصة عليه.. لذا فعليك أن تحاول أن تقرأ القصة بعد كتابتك لها وتصحيحك الأخطاء الإملائية والنحوية فيها تمامًا.. أن تقرأها من منظور القارئ وليس من منظور الكاتب.. لتقدر كم هي نسبة توقع القارئ لنهاية قصتك.. وبالتالي لتعرف مقدار تأثير قصتك على القارئ..

- وتذكر دائمًا ألا تترك الكتابة ولا تبتعد عن صحبة القلم والورقة.. ما

دام لديك شغف بهما.. واعلم جيدًا أن في طريقك من سيخبرونك أن ما تفعله هو مضيعة للوقت.. ومنهم من سيهزءون بكل كلمة تكتبها.. ومنهم من لن يهتم أصلاً.. وعلى الجانب الآخر ستجد القليل من كلمات التشجيع والمساندة من هنا أو هناك.. فلا تجعل تحقيق ما تريده في حياتك معتمدًا على من حولك.. فقط عليك أن تدرك أخطاءك وتتعلم منها وتستمر في طريقك.. ومع معايشتك للكتابة أكثر ستدرك أن الكتابة ليست مجرد هواية أو موهبة.. إنما هي رسالة ومهمة.. وأن الكلمات هي عبء ثقيل؛ لأن الكلمات ببساطة هي التي تبقى".

أنهت الشابة نصائحها إليَّ.. التي حُفرت في عقلي وملأته عن آخره.. وبدأت أشعر أنها تثقل كاهلي..

وأخبرتني بمكان عملها وأنه يمكنني أن أمر في أي وقت لأريها أي قصة جديدة سأكتبها..

وعند ذلك.. انتهت المقابلة.. ثم قمت معها لتسلم على "الريِّس".. وأخبرته أنها متفائلة بي.. ثم سبقتني وخرجت من مبنى الجريدة وسارت في طريقها..

سلمت أنا على "الريِّس" بدوري.. ثم عدت إلى حيث أتيت..

عدت إلى منزلي..

محملاً بالهموم..

قد جئت إلى الجريدة كل ما أرجوه أن تنشر لي مقالة.. ثم قصة!

ثم ها أنا أرجع إلى منزلي مثقلاً بمسئولية ألقيت على كاهلي فجأة..

مسئولية أدركتها لتوِّي..

وأدركت أنها.. ليست مسئولية سهلة..

على الإطلاق..

لأنها مسئولية كبيرة..

فهي مسئولية..

الكلمة..

الفصل الثاني

ألقيت جسدي على سريري لأفكر في همي..

لم أكن أدرك أن الكتابة تستلزم تلك المسئولية الكبيرة..

اكتشفت أن الأمر ليس سهلاً..

واكتشفت أن الأمر شأنه عظيم..

ربما شأنه يستلزم شخصًا أكثر مني معرفة وعلمًا وثقافة.. أو أكثر مني خبرة..

أو ربما شأنه يستلزم شخصًا أكبر مني سنًّا..

لا أدري..

لكني لست بصدد هذا الشأن..

ربما سأتوقف عن الكتابة..

أو بمعنـى أصـح – لـن أبـدأ في الكتابـة – فأنـا لم أبـدأ أصـلاً حتـى أتوقف!

ولكن ماذا عن نصيحة تلك الشابة بألا أترك القلم والورقة أبدًا؟

وماذا عن تفاؤلها بي؟

لا أدري..

سأنسى هذا الأمر..

سأنسى الكاتبة وأنسى القلم والورقة.. وأنسى حتى نصائح الشابة..

وذلك لأنسى همَّ الكتابة..

نعم.. سأنسى..

أغمضت عيني كي أستدعي النوم إلى ذهني ليتوقف عن التفكير..

ولكن يتمسك ذهني بانشغاله..

ويأبى أن يسلم للراحة..

يرفض أن يسلم لظلام اللاوعي..

ويكره الدخول في تيه عدم الإدراك..

ويبعث بنفسه للتفكير من موضوع إلى آخر..

ينتقل من زمان إلى زمان.. ومن مكان إلى مكان..

يصل إلى الماضي.. فتظهر ذكرياتي القصيرة عمرًا..

سعيدة كانت أم حزينة..

أو حتى ذكريات باردة بلا مشاعر..

يقلب بينها كلها في سرعة..

ثم ينتقي ذهني إحداها.. ويبدأ في استحضارها كاملة..

وتتخذ هي داخل العين المغلقة مكانًا لعرضها..

جاءت تلك الذكرى لأراها أمامي الآن..

بطريقة ما..

أستطيع أن أرى نفسي..

يوم أن كنت ساذجًا وأصغر سنًّا بسنوات قليلة.. يوم أن كنت مع أبي وأخي في متجر من المتاجر.. ليشتريا لي قميصًا..

نعم.. أتذكر ذلك الموقف جيدًا..

إذ إني شعرت بشيء غريب في القميص.. حين كنت أجربه عليَّ..

ولسوء اختياري وعدم خبرتي.. اخترت ذلك الوقت للاستعراض كمبتدئ أمام فتاة كانت مارة من أمامنا..

وشجعني ذلك نظرة الفتاة إليَّ وهي تبتسم..

فزدت في الأمر أكثر..

إلى أن اكتشفت أخيرًا – أنا – ما هو ذلك الشيء الغريب.. واكتشفت السبب الحقيقي لابتسامة تلك الفتاة..

وكما أجدني أفعل الآن.. فسأضحك ساخرًا من نفسي في النهاية.

وفجأة..

توقف عرض تلك الذكرى أمامي..

توقف ليحل الظلام بديلاً لها مجددًا..

واكتشفت بهدوء أن ما تذكرته لتوّي.. له بداية ونهاية..

وله حدث بالمنتصف..

أي ما تذكرته لتوّي هو قصة..

وكيف لا؟ والذكرى جزء من الحياة.. والحياة رواية متعددة الفصول..

كل لحظة منها فصل له بدايته ونهايته وأحداثه وشخصياته ومكانه وزمانه..

وكل فصل منها قصة قائمة بذاتها..

نعم.. يمكن أن تسرد تلك الذكرى في قصة..

قصة قصيرة..

وها أنا أكتشف أن عقلي ما زال يفكر في الكتابة.. بعد أن عاهدته على عدم الرجوع للتفكير فيها..

أحاول عزل عقلي عن التفكير مرة أخرى..

لكني..

أنجح بسهولة هذه المرة..

وكأن عقلي قد استسلم..

أو كأن عقلي قد أبلغ الرسالة..

الرسالة التي من أجلها كل ذلك العمل والعصيان عن التوقف..

الآن.. استراح عقلي..

والآن.. يمكنني أن أغلق جفنَيَّ..

لأنام..

بهدوء..

أعلم أنه..

لن يدوم..

* * *

بعد يومين أو ثلاثة..

وفي مرة من المرات التي كنت أمشي فيها في الشارع..

ذلك الشارع الرئيسي في بلدتنا الصغيرة.. والذي أمر به كثيرًا.. كون الشوارع الرئيسية في بلدتنا قليلة ومعدودة.. والبلدة نفسها مساحتها محدودة.

قبل نهاية الشارع بقليل..

على ذلك الرصيف المعتاد..

رأيت مجددًا تلك المرأة العجوز..

تلك المرأة العجوز التي أراها دومًا تجلس على ذلك الرصيف وحدها.. بملابس بالية.. ووجه قد نحتت فيه ريح الزمان بقسوة..

تلك العجوز التي دومًا لا أراها تفعل غير الجلوس مكانها والتحديق في الفراغ أمامها..

أو التحديق في المارين في الشارع..

تلك العجوز التي لم أعلم لها اسمًا ولا مكانًا ولا عنوانًا.. غير ذلك الرصيف..

وظننت دائمًا أن الجميع كذلك..

لكني..

أرى شيئًا غريبًا..

فهـا أنـا أرى رجـالاً يتحـدثون معهـا.. وتحـدثهم هـي بـصوت منخفض..

ولم يطيلوا الحديث منذ أن وقعت عيناي عليهم..

فقط سألوها إن كانت تريد شيئًا..

فأجابت مقتضبة بصوت ضعيف بالنفي!

وودعوها وهم يغادرون..

وكل رجل منهم يناديها قائلاً:

"أمي"!!

ونـادت هـي أحـدهم مجـددًا لـتهمس بكلمـات في أذنـه ثـم تركهـا وغادر..

إنها فعلاً أمهم..

هذه المرأة العجوز ساكنة هذا الرصيف لديها أبناء!

في الواقع.. دهشتي هي في أن لديها أحدًا في هذا العالم!

ولكن..

بما أنها لديها أحد في هذا العالم..

أو بما أنها لديها أبناء بالأخص..

لماذا هي من دون مأوى غير ذلك الرصيف؟

لا بد أن وراء ذلك..

قصة..

ولا أظنني أستطيع أن أعرف تلك القصة..

في الحقيقة.. لا أظنني بحاجة إلى معرفتها..

فقد وجدت عقلي قد نسج قصة بديلة..

تخيلها هو..

فأصبحت بالنسبة إليه أقرب إلى الواقع..

نعم..

عقلي.. قد أخرج لي قصة..

من جديد..

أكتشف أن هناك قصة.. تتكون من الكثير من الكلمات..

محبوسة في عقلي..

تريد الخروج..

ومن جديد..

وجدتني أمام متاعب نسيان وكبت هذه الفكرة..

لكني عاندت أمام هذه المتاعب..

حتى تعب عقلي..

تعب بطريقة لا أتحملها..

فبوجود فكرتي القصتين هاتين في داخله..

صار مليئًا عن آخره..

ولم يترك ذلك فيه مكانًا شاغرًا لأي فكرة من أفكار الحياة الأخرى..

وفور رجوعي إلى البيت..

قررت أن أخرج ما في عقلي أخيرًا..

قررت أن أخرج تلك الكلمات المحبوسة..

سأكتب ما سأكتب..

ولن يهمني أكان ما أكتب جيدًا أم لا..

فقط سأكتب كي أحرر تلك الكلمات..

وكي أريح عقلي..

جلست على مكتبي.. ومددت يدي إلى قلمي والأخرى إلى ورقي..

لأكتب أول قصة من الاثنتين..

وضعت سن القلم على أيمن السطر في أعلى الورقة..

وكتبت..

قصة

سانج

* * *

أذكر ذلك اليوم الذي كنت أشتري فيه قميصًا من متجر ما..

كنت أشتريه مع أخي وأبي.. لأني كنت صغيرًا..

لكني كنت واعيًا كفاية لاستيعاب الدرس.. وعلى العموم لم يكن ذلك من سنوات طويلة..

أعطاني أبي قميصًا لأجربه.. وكذا فعلت..

القميص كان به شيء غريب.. لكني لم أعرفه..

فظللت أسخر منه وألقي دعاباتي عليه بصوت عالٍ.. لم أكن يومًا ممن هم بارعون في إلقاء الدعابات واستقطاب الناس حولها على أي حال..

وأنا في ذروة إلقائي لدعاباتي.. إذ مرت من أمامي فتاة..

لم تكن جميلة على أي حال.. حتى إني لا أتذكر وجهها.. لكنها كانت فتاة..

فتاة مناسبة لملقي دعابات مبتدئ مثلي آنذاك..

مرت وهي تنظر إليَّ وتضحك..

مهلاً.. إنها تضحك على دعاباتي أنا.. فتماديت في دعاباتي أكثر وأكثر..

إلى أن جاءت أختي لتنضم لنا وهي تنظر إليَّ وتقول في لهجة ساخرة: هذا القميص لم يُصنع للرجال على أي حال.

شعرت بالحمق الشديد.. لم أستطع التفرقة بين القميصين الرجالي والنسائي!

وتلك الفتاة.. تلك الفتاة لم تكن تضحك على دعاباتي..

بل كانت تضحك عليَّ أنا.. تضحك على مغفل لا يفرق بين القميصين الرجالي والنسائي..

ونظرت أمامي فرأيتها قد ذهبت.. ولم أرَمنها غير نصف ابتسامتها التي رأيتها هذه المرة..

ساخرة جداً..

* * *

كتبت القصة الأولى.. ولا أعلم كيف كتبتها..

لكني الآن أشعر أن عقلي قد أصبح نصف متحرر..

وشعرت أيضًا أن الكلمات قد انسابت على الورق انسيابًا..

وعلمت أنه ليس هناك سبب لعدم الإكمال..

فوضعت القصة التي كتبتها لتوِّي جانبًا.. لتظهر لي ورقة جديدة..

لأبدأ الكتابة من جديد..

ولكن هذه المرة..

أكتب..

قصة

الجميلة

* * *

ينظر إليَّ المارة بإشفاق.. بعضهم ينظر إليَّ نظرته لعجوز شمطاء.. أما أغلبهم فينظرون إليَّ نظرتهم لمجنونة من المجانين الذين شردتهم مصائب الدنيا.. وجعلتهم يبدون بأفئدتهم ويفقدون عقولهم..

نعم.. أرى تلك النظرات في عيونهم.. لا أفهم لماذا لا يرون جمالي.. وكيف.. كيف لا يرون شبابي؟!

على العموم فأنا أتظاهر أني لا أهتم.. نعم عليَّ أن أفعل ذلك.. وأوجه نظري إلى الفتيات المارات من أمامي.. الفرحات بجمالهن.. المتبخترات برشاقتهن..

وأرى الشباب يركضون وراءهن.. يسعون إليهن..

يسعون إلى الجميلة منهم والهيفاء.. هدفهم هو جمالهن..

أو هكذا يظنونه.. أي جمال هذا؟

لم يروا جمالي وأنا شابة.. إذًا أين ذهب الآن؟!

لا.. ما زلت جميلة.. جمالي لم يذهب بعد..

كنت أسير في الشوارع والطرقات فيركض كل الشبان ورائي.. متمنين مني نظرة واحدة..

كنت أجد نفسي أسبح بين مغازلاتهم.. تطوقني كلماتهم.. وتأسرني بعضها..

إلى أين ذهب هذا الآن؟

إلى أين؟ وإن كان قد ذهب فلماذا ذهب أصلاً؟

لماذا؟ لماذا لا أذهب لأعيش مع أولادي؟ لماذا لي أولاد؟ فأنا ما زلت شابة! يزورونني نادرًا.. أصبحوا من الفقراء.. بعد تدهور حالهم في السنين الأخيرة.. لكن هذا لا يهمني..

شيء ما يمنعني من مغادرة هذا المكان وتركه.. ما هو؟

إلامَ أنتمي هنا؟ ماذا أريد؟

أريد المغازلات؟ المزيد منها؟

ممكن..

لا بل هو أكيد..

نعم هذا ما أنتظره.. المزيد والمزيد منها كما كنت في القدم..

لم أسأم ولن أسأم منها..

فها أنا هنا أنتظر لألفت نظر شاب مار..

إلى متى؟ لا أدري..

ولكن ها أنا أنتظر وأنتظر وأنتظر..

نعم.. أعلم ما أنتظره..

المغازلات".

قالت هذه الكلمات عجوز شمطاء محدثة نفسها بصوت خافت.. وهي جالسة على رصيف من أرصفة أحد الشوارع.. بثوب بالٍ ووجه شاحب جداً..

ووجنتين نحيلتين..

وجسد أفنته الأيام..

وقضى عليه الزمن..

* * *

انتهيت من كتابة القصة الثانية..

وشعرت الآن براحة عقلي وتحرره..

وابتسمت وأنا أنظر إلى الكلمات التي كتبتها لتوّي..

كيف كنت أحبس هذه الكلمات كلها في عقلي الصغير؟!

الآن علمت أن تلك الكلمات في مكانها الطبيعي..

فمكان الكلمات على الورق..

أما حجزها داخل العقل.. فهذا ليس بمكان طبيعي لها..

بل ولم تُخلق الكلمات لذلك..

بل خُلقت ليحررها الكائن العظيم المسمى (القلم)..

ويفتح لها..

باب العقل..

والآن.. أخذت أقرأ ما كتبت في رضا..

في الحقيقة.. لا بأس بما كتبت على الإطلاق..

على الأقل بالنسبة لمبتدئ مثلي..

ازدادت ابتسامتي أكثر.. وازداد سروري..

ثم جمعت ورقي الذي كتبت عليه القصتين..

وفتحت دُرْج مكتبي..

ووضعته فيه..

ثم..

أغلقته..

الفصل الثالث

ونسيت أمر القصتين تمامًا..

إلى أن جلست على المكتب يومًا.. ونظرت إلى الدرج..

وتذكرت القصتين..

ففتحت الدرج.. فرأيتهما في مكانهما كما وضعتهما..

فأخرجتهما.. ووضعتهما أمامي..

نظرت إليهما..

وأشفقت على كلماتي التي أتعبت عقلي..

أشفقت عليها أن يكون مآلها محبسًا بديلاً لعقلي..

وهو درج مكتبي.

قد قلت قبل ذلك إن الكلمات مكانها الطبيعي على الورق..

أما الورق الذي يحوي الكلمات فمكانه الطبيعي هو...

لا أعتقد أبدًا أن الأدراج هي مكانه الطبيعي..

فمكانه الطبيعي أمام أعين الناس..

ففكرت أن الكلمات لا بد أن تنشر..

مهما كانت جودتها.. ومهما كان مستواها..

لا بد أن تكون معلنة للناس..

لترى النور..

لا أن تكون حبيسة الأدراج..

حتى ولو كنت قد علمت أن النشر الورقي أو المطبوع ما زال بعيدًا..

فحتمًا هناك وسائل أخرى للنشر..

فجاءت لي فكرة أن أنشرها على الإنترنت..

وهناك شبكة اجتماعية مشهورة.. أستطيع من خلالها نشر كلماتي..

وتوفر لي عرضها على من أشاء..

وعلى الفور..

قمت إلى حاسوبي وكتبت عليه القصتين..

ثم نشرتهما على الإنترنت..

وهكذا.. صارت الكلمات منشورة في العلن إلى حد ما..

وعلى الأقل..

صارت في..

مكان أفضل..

* * *

بعد عدة أيام..

نزلت إلى الشارع مرة أخرى..

نزلت لأقابل الأصدقاء..

قابلتهم وكالعادة بدأنا في الحديث.. وانخرطت في الكلام..

واندمجت فيه..

اندمجت فيه بتأثر من اندماجي في محاولاتي الجادة أن أكون أكثر اجتماعية.. والتي كنت قد بدأتها حين اكتشفت وتأكدت أنني لست اجتماعيًا على الإطلاق.. ويصعب عليَّ بناء علاقات جديدة في وقت قصير.. وليست المشكلة في ذلك..

لكنني أشعر دومًا أنني يجب أن أكون أكثر انخراطًا في المجتمع..

وفي ظل هذه المحاولات..

اندمجت في الحديث أكثر..

وتركيزي فيه يزداد..

ويزداد..

و...

فجأة..

تشتت تركيزي..

بل اختفى تمامًا..

وأصبحت مشدوهًا..

وتجمدت في مكاني وأخذ قلبي يدق بطريقة استثنائية..

وحدقت عيناي أمامها..

جمدتني المفاجأة تمامًا ووجدت نفسي فاغرًا فاهي..

فاغرًا فاهي - للأسف - بطريقة حمقاء..

أما عن تحديق عيني.. فذلك لأنهما وقعتا على إنسانة..

إنسانة اتخذتها حبيبة عمري..

وحجزت لها مكانًا في قلبي..

إنسانة قد تأصل إدراكي منذ زمن أنها مختلفة..

ومتميزة..

وليس لها مثيل أبدًا..

دونًا عن بنات حواء جميعًا..

إلا من اصطفاهن الله واختارهن لمعونة النبوات..

أما عن تفاجئي وشدوهي..

فلكون أن تلك الإنسانة..

لم أرَها منذ كنا طفلين..

وقت أن زرعت بداخلي الشعور بأنها مختلفة..

ثم غادرت..

لتمر الأيام..

وأكبر أنا..

وينبت ذلك الشعور داخلي.. ويكبر هو الآخر..

حتى أصبح يستحوذ على قلبي..

ويشغل عقلي..

وكلما مرت الأيام ازداد تأكدي من هذا الشعور..

وثقتي فيه..

ودائمًا..

كانت عيناي تبحثان عنها..

يسبقهما قلبي وعقلي..

عقلي الذي يريدها أن تكون مستقبلي..

وقلبي الذي دائمًا أراد وسيريد أن يخلص لها..

وحدها..

قد رسمت في عقلي بسحر جمالها..

خيال ذلك اليوم.. الذي فيه..

قربها..

ولأنها ليست كأي بشر في زماننا هذا..

ولأنها مختلفة..

ولأن رؤيتها مرة واحدة كافية لتسيطر على القلب وتشغل العقل..

فإنها..

نادرة الظهور..

وذلك..

جعلني دائمًا في حيرة..

لا أعلم أين هي..

وتساورني الشكوك..

أما زالت قريبة..

أم ابتعدت إلى الأبد؟

هل سأجدها حين يأتي الوقت المناسب لقربها..

أم أني لن أراها أبدًا.. وستظل حبيسة عقلي بملامح الطفلة؟

ولكن..

هاهي مرت من أمامي..

ورُزقت بنظرة في وجهها..

لأرى جمالها..

ولأرى ارتسام ملامحها..

سبحان من رسمها..

في عينيها.. ما زالت البراءة الطفولية..

ولكن قد كساها الزمن بأنوثة ساحرة..

وبعد أن مضت..

ما زلت مشتتًا..

وما زلت في شرودي..

حتى لاحظ أصدقائي هذا الشرود..

لكنهم بالطبع لا يعلمون السبب..

أحسست بأني أريد الرجوع إلى البيت..

اختفت من عقلي محاولاتي في أن أصبح أكثر اجتماعية الآن.. وتبددت تمامًا..

لم أعد أكترث لذلك..

فودعت أصدقائي..

ورجعت إلى البيت وذهبت إلى غرفتي..

وأغلقت الباب..

لأكون وحدي..

وجلست لأعيد كل ما فكرت به مجددًا..

وأضيف إليه تفكيري فيما إذا كنت سأستحقها في المستقبل..

ثم تذكرت تلك الأغنية التي سمعتها لأم كلثوم مرة..

أغنية "ذكريات"..

تلك الأغنية التي تقف فيها أم كلثوم وتستمر في الغناء لمدة ساعة

كاملة.. أو تزيد بضع دقائق..

وتذكرت ذلك المقطع الذي تغني فيه:

"كيف أنساها وقلبي

لم يزل يسكن جنبي

إنها قصة حبي..."

مددت يدي إلى هاتفي ووضعت السماعات في أذني.. وأوصلتها بالهاتف..

لأسمع تلك الأغنية مرة أخرى..

وما كادت تقرب حتى على منتصفها حتى أعطتني حافزًا لأكتب..

لأكتب عما أشعر به..

أعلم أن كلماتي ستكون ضعيفة ولن أرضى عنها؛ لأنها لن تستطيع أن تصف شعوري كاملاً..

ولن تستطيع بالطبع أن تصف الإنسانة التي هي إليها ذلك الشعور..

ولكن ما المانع؟

فلأجرب..

فمددت يدي هذه المرة إلى قلمي وأوراقي..

لأمسك بقلمي في يدي اليمنى..

وأهيئ الورق أمامي.. وأنا لا أعرف بالضبط ما الذي سأكتبه..

ولكن.. ما كدت أضع سن القلم على أول السطر..

حتى تبادرت فكرة ما سأكتب في ذهني..

كأن القلم والورقة قد اتحدا ليبثا تلك الفكرة في ذهني..

فلم أتأخر أكثر من ذلك..

وبدأت..

أكتب..

إنها قصة حبي

* * *

كيف أنساها وقلبي..

لم يزل يسكن جنبي..

إنها قصة حبي...

جلست أرددها وحدي.. وسط ليل قاسٍ..

أرددها بحنين.. وأنين..

أنين ينطلق فيخترق الصمت الحزين..

ينطلق وحيداً.. مثلي تماماً..

وسط الجو القاسي..

وما زلت أرددها..

تتجدد صورتها أمامي.. فأردد ما أردده..

وكيف أنساها؟

ولن أنساها..

تماماً مثلما لم أنسَها طوال سنوات عمري..

أحببتها حبًّا سامياً.. لسموها هي في قلبي..

قد وهبت لنفسها قلبي.. وقبلت..

وأرهقت عقلي.. وأتعبت خيالي..

ولذلك عشقت..

فهي كالبدر.. نادر الطلعة..

ساحر الطلة..

وابتسامتها..

لا يصف رقتها بشر..

أمشي.. فيُخيَّل إليَّ وجودها..

وحين أراها أمامي..

أشك إذا كانت حقيقة أم عذابًا من خيالي المسجون بحبها..

وكان هذا حالي طوال سنين حياتي..

أنتظر الفرصة لقربها..

وأخاف من ألا تأتي تلك الفرصة.. فأبكي مع اللحن الحزين من داخلي..

يردده خاطري..

وأنا وحدي..

لم أكن أتخيل إلى متى فراقها..

ولم أتخيل أن فراقها مكتوب عليَّ..

إلى الأبد..

فعندما قربت الفرصة..

فرصة قربها..

بدت الفرصة مستحيلة..

وبعدت هي أكثر..

وبعدت إلى الأبد..

فالآن.. أصبحت حقًّا كخيال في خاطري..

لم يكن موجودًا.. ولن يكون موجودًا..

ولن أنساه أنا..

يعذبني.. وأتلذذ بعذابه..

لأن في ذلك قصتي..

و...

قصة حبي..

رميت قلمي بعجز واستسلام على الورق أمامي.. وأسندت ظهري الذي عكف على مكتبي لفترة ظننتها طويلة..

وأرحت يدي التي عجزت مع قلمي الضعيف أن تصف جل مشاعري..

قد كتب قلمي قصصًا من قبل..

لكن مجددًا عجز أن يكتب تلك القصة..

قصة حبي..

* * *

بعدما أنهيت كتابة القصة..

وفكرت..

قد أكون صغير السن وقليل الخبرات على ما قلت وما كتبت..

قد أكون أكتب تلك الكلمات وأنا لا أعرف معناها الحقيقي..

ربما تلك المشاعر زائفة ومؤقتة..

وستختفي بمرور السنين..

ربما هي فقط..

ناتجة عن تلك المرحلة التي أمر بها في حياتي..

ومع أنني متأكد أنها ليست كذلك..

فما أنا متأكد منه أكثر..

أن ثمة مشاعر في قلبي بالفعل..

تؤثر في عقلي..

وما أعلمه أيضًا..

أن من الخسارة ترك هذه المشاعر.. وإهمالها..

فعلى سبيل المثال..

أنا أرى أن المشاعر لو اقترنت بفكرة.. أخرجا عملاً أدبيًا رفيعًا..

بل من الممكن أن يرسما أحلى الفنون..

خاصة لو أن هذه المشاعر هي مشاعر إنسانية خالصة من الرغبات الآدمية – وشتان بينهما..

وأنا أؤمن أن ما في داخلي هو مشاعر إنسانية خالصة..

لأن تلك الإنسانة التي أشعر بحبها في داخلي..

قد بدأ انتباهي لها في فترة الطفولة..

في وقت براءة الطفولة..

وهي بالنسبة لي كملاك..

لا يجدر ولا يليق بها الاقتراب من السوء أبدًا..

وهي بالنسبة لي..

كقيمة خيرة..

وأن الطرق الخيرة فقط هي التي توصل إليها..

وهذا.. ما لا يمكن أن أحسه تجاه أي إنسانة أخرى..

أبدًا..

فقلبي اختارها وحدها..

وأي إنسانة قد تأتي في خاطري غيرها..

أنا متأكد من الآن..

أنها ستكون هواجس وليدة اللحظة..

ومع الوقت القصير جدًّا.. ستموت..

قد يبدو كلامي هذا قديمًا..

ولكن لا بأس..

فأنا أفضل أن أسميه "الطريقة القديمة في الحب"..

فالأهم بالنسبة لي هو الإخلاص في الحب..

نعم..

هذا أنا..

ببساطة..

قلبي قد اختار واحدة فقط..

ليخلص في حبها..

والآن قد علمت سببًا آخر كي أكتب..

سأكتب لها..

وأكون لها شاعرًا.. إن استطعت..

وسيكون من كلماتي..

ما هو لها..

وحدها..

الفصل الرابع

ومرت أيام وأيام..

وها أنا نزلت إلى الشارع مجددًا..

شارع من تلك الشوارع الرئيسية المعدودة في بلدتنا الصغيرة..

شارع مليء بالحركة..

ومكتظ بالبشر – من الجنسين بالطبع..

وإذا أردت أن تعطي نسبة بينهما..

فنسبة الجنس الآخر ستغلب..

الجنس الناعم..

فالفتيات أكثر من الشباب..

فسواء نظرت إلى أمامك..

أو التفتّ إلى يمينك أو يسارك.. أو حتى التفت وراءك..

حتمًا ستجد فتاة في كل مكان تنظر إليه..

وهؤلاء الفتيات..

تختلف أغراضهن في السير في الشارع..

فمنهن من نزلن لقضاء غرض معين..

ومنهن من نزلن فقط للنزول إلى الشارع؛ لأنه المتنفس الوحيد في بلدتنا..

وهو السبب الوحيد لنزولي أنا أيضًا.

وبما أنني مراهق أتوسط أصدقائي المراهقين..

فكثيرًا ما أسمع كلمات إعجاب تتبادل من هنا أو هناك.. مع القليل من الغمز والهمز..

وحين يحكي شاب مراهق الحكاية - حكايته التي لا تنتهي مع إعجابه بفتاة ما - يقسم إنه صادق في هذا الإعجاب تمامًا..

لكنك ما إن تسمعه تدرك أن كلماته ليست حقيقية..

وأنها فارغة..

بل وتدرك أن حتى المشاعر التي يتكلم عنها مشاعر زائفة بُنيت على وهم.. أو استشعرها صاحبها لرغبته..

وبين المراهقين من أمثالي وأمثال أصدقائي..

تكثر تلك الحكايات..

وبما أنني مراهق أيضًا..

مراهق كأي مراهق..

أحيانًا أجد نفسي أنجذب لتلك الحكايات..

على الرغم من أني أعلم أنها زائفة..

وبالتدريج.. أجد نفسي أفكر في فتاة من تلك الفتيات أيضًا..

وأنا الذي سبق أن علمت جيدًا أن الانشغال بها..

سيكون هاجسًا وليد اللحظة.. ومع الوقت القصير جدًّا..

سيموت..

فلا أظنه ناتجاً عن مشاعر إنسانية.. بل هو ناتج عن رغبة آدمية..

وهنا تكمن المشكلة..

لأن الرغبة الآدمية دومًا يجب التصرف فيها..

فهي لا تؤدي في الغالب إلا لسوء..

فهي تزيد من دنيوية فكر الإنسان.. وتقلل من روحانياته..

وتبعد روحه عن السماء..

ولأن الكتابة شيء روحاني.. فتلك الكلمات التي تأتيك في

خاطرك..

إنما هي من الله..

فكلما ابتعدت روحك عن السماء..

كلما صار ذهنك ملوثًا برغبات الأرض..

وهربت منك الكلمات رغبة في ذهن أصفى وأنقى..

وحين لاحظت انشغالي بتلك الأمور أكثر من اللازم..

ولاحظت دنيوية تفكيري وضيقه.. وكأنما أصبح الكون كله ضيقًا مضمحلاً ولا يهديك عقلك إلا إلى أفكار ضيقة مظلمة لا فائدة مرجوة منها..

فمع ذلك لاحظت ابتعادي عن القلم والورقة..

وكلما انشغلت أكثر.. زاد ابتعادي عنهما أكثر..

وأكثر..

وأكثر..

و...

حتى توقفت..

لأدرك أنني أمشي في اتجاه آخر تمامًا..

تتبين نهايته أنها ليست خيرًا أبدًا..

توقفت.. لأعيد تصحيح المسار..

وأعيد تذكير نفسي بتلك الإنسانة الوحيدة التي أخلص في حبها..

نبذت كل تلك الأفكار التي شغلت بالي..

وندمت على كل لحظة شغلت بالي بها..

وأردت العودة إلى ما كنت عليه..

أردت العودة إلى..

القلم والورقة..

ومجددًا..

عدت إلى مكتبي..

وفي اشتياق مددت يدي إلى قلمي وورقي..

وبندم ولهفة..

كتبت..

ولم تصبح شيئًا

* * *

أسندت رأسي على مكتبي..

وقد غمرني اليأس..

ويحتضن قلبي الأسى.. وتحتضن قلبي الأحاسيس..

وتغوص في عقلي المئات من الأفكار والذكريات..

ذكريات مؤلمة..

كلها تدور وتدور..

حتى أصبحت في عقلي كالدوامة..

لم أحسبني بناجٍ منها..

تحملت هذا كله في صعوبة.. وأنا أتحسس بيدي اليمنى شعري الطويل الذي كثرت خصلاته البيضاء..

وأنا أغمض جفني.. متمنيًا أن يزول هذا كله..

أغمضت عيني.. وأدركت نفسي غائصًا في داخلي..

في المجهول..

غصت أكثر وأكثر.. ليبدو المجهول لا نهائيًّا..

ينقلك من مكانك.. وينتشلك من زمانك..

وفجأة سمعت صوت وقع قدمين بطيئتين..

فرفعت رأسي.. فرأيت صاحب ذاك الصوت بصعوبة..

بدا لي مألوفًا بشكل غريب..

كان شابًّا في ريعان شبابه..

ذا شعر أسود طويل..

ووجهه ذو بشرة قمحية.. وملامح هادئة..

في البداية كان يبدو لي سعيدًا..

ظللت أنظر إليه طويلاً.. وهو لا يتحرك..

لم أنطق أنا.. ولا هو فعل..

وطال ذلك..

في سكون تام..

حتى قال هو أخيرًا:

"ألا تعرفني؟"..

لم أجب..

فتكلم هو مجددًا:

"انظر ماذا فعلت بي".

"انظر ماذا فعلت بنفسك".

زاد استغرابي..

"لقد حذرتك من أن يكون هذا مصيرك.. لكنك أكملت في سفهك".

لم أستطع النطق..

"أما زلت لا تعرفني؟ أنا هو أنت يا أحمق"..

يا إلهي.. هذا أنا.. في شبابي..

اعتدلت قليلاً.. فقال:

"أيها الأحمق.. أحمق فعلاً.. لقد أضعت نفسك.. لماذا؟".

شعرت بشللي التام.. فقال:

"لقد كنت في طريقك لتكون كاتبًا عظيمًا.. كنت في طريقك للمجد.. كنت تكاد لتصبح شيئًا".

وأكمل ونبرات الأسى تزداد في صوته وأشعر بها في قلبي:

"كنت ملهمًا.. يأتيك الإلهام من حيث لا تدري.. وتطير الكلمات وتصطف في ذهنك.. كنت تعرف أنها عملية روحانية.. كنت أنت تعلم أنها هبة من الرب..

ولكنك اتبعت أشياء أخرى أيها المغفل..

بالغت في اهتمامك بشهواتك..

ورغباتك في تلبيتها..

وانشغلت جل الانشغال بهذا..

كلما زاد انشغالك زادت رغبتك..

وزاد فراغ عقلك..

وبعد ذلك.. لا شيء..

لا شيء.. هي فعلاً ما تستطيع وصف حياتك بعد ذلك..

تطايرت الأحرف والكلمات ونفرت منك.. لتصطف في عقل أصفى..

وأنقى..

ولم تستطع الكتابة..

قطعت طريق المجد على نفسك يا أحمق.. وبما أنك لا تجيد شيئًا آخر..

فقد أصبحت فاشلاً بكل معنى الكلمة.. ومع ذلك..

لم تتعلم يا غبي..

واحتفظت بانشغالك بتلك الأوهام..

فلا نلت جل رغباتك.. ولا عرفت طريقك في الحياة.. فأصبحت ضائعًا..

ولم تصبح شيئًا يا هذا..

لم تصبح شيئًا..

والآن.. ليس لك النوم..

وليست لك الراحة..

فالراحة هي راحة الضمير..

وضميرك ليس مرتاحًا أبدًا..

والآن عليك أن..

تستيقظ..

فجأة.. استيقظت وأنا أرفع رأسي من على مكتبي وأنا أشهق بصعوبة بالغة.. لأتنفس بسرعة..

ونظرت حولي فرأيت الحجرة فارغة..

ورأيتها فقيرة.. باردة..

وظللت أقلب بصري في أركانها القاسية..

ولم أعرف لنظري مستقرًّا..

فنظرت إلى أعلى لترتاح عيناي وأنا أقول:

"فعلاً.. لم تصبح شيئًا..

أبدا".

* * *

بعد يومين أو ثلاثة.. وبعد أن كنت قد كتبت القصة الأخيرة على الحاسوب.. ونشرتها على الإنترنت..

مثلها مثل القصص الأربع التي سبقتها؛ لآخذ رأي من يهتم بها..

فتحت الآن حاسوبي لأقرأ الآراء في قصتي الأخيرة..

وجدت كاتبًا شابًّا وكاتبة شابة.. قد أبديا رأيهما بالقصة..

كلاهما أبدى إعجابه بها..

لكن الكاتبة الشابة انتقدتها وقالت إنها كان من الممكن أن تقدم بأسلوب أفضل..

سررت جدًّا لانتقادها هذا.. لأنني مقتنع أنني بحاجة إلى مثل هذه

الانتقادات لأتعلم منها..

وقرأت باقي الآراء لواحد من أصدقائي الذي قد قرأ لأول مرة شيئًا أكتبه..

وأخي الذي قرأ لي منذ أن بدأت أكتب القصة تقريبًا..

وهو الوحيد الذي قرأ لي..

من عائلتي..

* * *

بالتأكيد قد صارت الكتابة جزءًا من شخصيتي..

وجزءًا من هويتي..

ولها جزء كبير من وقتي..

وتحتل جزءًا كبيرًا من مستقبلي في أحلامي..

وأيقنت أنها بالنسبة لي الآن - وقبل الآن - هي حاضري ومستقبلي..

وهي التي ألجأ إليها عندما يضيق صدري بكلام لا أجد من يسمعه مني..

وهي التي ألجأ إليها عندما أشعر ألا شيء آخر أجيده..

وهي التي ألجأ إليها عندما أريد أن أبوح بسر لا أستأمن عليه أحدًا

أبدًا..

هي التي ألجأ إليها عندما أكون حزينًا..

وهي أيضًا التي ألجأ إليها عندما أكون مسرورًا صافي النفس..

ببساطة.. قد أنعم الله عليَّ بأن جعل الكتابة ملجأ لي ومتنفسًا..

وعائلتي – الذين هم من المفترض أن يكونوا أقرب الناس لي – لا يعلمون أن في حياتي شيئًا اسمه الكتابة – باستثناء أخي..

أو ربما هم يعرفون ولا يكترثون لذلك..

لن أنسى حينما كنت ذا الأعوام العشرة.. حينما كنت قد تعرفت لتوِّي على شيء اسمه القلم.. وآخر اسمه الورقة.. وقررت أن أكتب كتابًا..

لم تكن لديَّ أدنى فكرة عما هو ذلك الكتاب.. أو كيف سأكتبه..

لكنني فقط بدأت في كتابته.. وكتبت كل ما كان في رأسي من كلمات وآراء صغيرة..

آراء في أي شيء أو أي أحداث كنت أعرفها في ذلك الوقت (الحروب القائمة – البطالة – الفقر)..

وكتبت كل ما كان في رأسي..

حتى نفد..

نفد مع انتهاء الصفحة الثالثة فقط..

فقلت لنفسي: "لا يوجد كتاب بثلاث صفحات فقط! لكن لا بـأس.. فقد كتبت لتوِّي مقالة!".

وقرأت ما كتبت.. فأعجبني..

فأخذته بفرح وحماس شديدين.. لأريه لأبي.. وأنا أقول له: "انظر ما كتبت!"..

أخذ مني الأوراق باستغراب ثم بدأ يقرأ بصوت عالٍ..

لن أنسى نبرات صوته إلى الآن وهو يحاول على مضض إكمال قراءة ما كتبت..

ولن أنسى عندما كان لا يستسيغ أي تعبير استثنائي كتبته وظننـت أنني أستحق التحية والتقدير من أجله.. خصوصا أنني كنت طفلاً!

لن أنسى تعابير وجهه الجامدة حينما كـان يقـرأ المقالـة.. وحينمـا أعطانيها من دون كلمة تقدير كما كنت آمل..

ذلك الموقف جعلني أنسى الكتابة لفترة ليست بقصيرة.. وأنا الـذي كنت قد تعرفت عليها لتوِّي..

وحينما عدت إلى الكتابة مرة أخرى.. قررت أني سـأكتب ولكـن لا يستحق أحد لا يهتم أن يقرأ كلماتي..

سأكتب.. ولكن لنفسي.. ولـيس مـن أجـل كلمـة تـشجيع أو تقـدير

أبدًا..

أدركت ألا أحد سيفرح بي كوني أحببت الكتابة منذ الصغر..

أدركت أن الذي يكتب لا يصفق له أحد على كلمة كتبها بعد عناء..

ولا يحتفل معه أحد..

إنما احتفاله وهو وحده..

مع قلمه.. وبين أوراقه..

وفقط..

يحتفل بأنه استطاع أخيرًا أن يكتب كلمة تريح صدره وترضي ضميره وتشمل كل ما أراد أن يقوله..

احتفال من يكتب هو احتفال لا ضجة له ولا تجمعات..

الكلمة الحق التي يكتبها الكاتب هي تمامًا كهدف أحرزه لاعب كرة قدم في مباراة..

ولكن..

من دون تصفيق أو تشجيع بحرارة.. ولا وميض عدسات من هنا أو هناك في الغالب.. أو حتى في كثير من الأحيان.. من دون انتباهات أعين..

مع أن الكلمة تبقى آلاف السنين.. وقد تبقى..

إلى الأبد..

وحين تفتح أمي باب غرفتي وتدخل عليَّ وأنا منهمر في الكتابة..

تنظر إليَّ بجمود كما لو كنت لا أفعل شيئًا..

أنا موقن أنها تعرف أنني أكتب..

لكنها لم تهتم أبدًا لترى ماذا أكتب..

قد أبدو لمن حولي من عائلتي وممن هم في سني كطفل يعبث بشيء أكبر منه..

أو كشخص يضيع وقته في أمور تافهة لا فائدة منها.. ولا يعرف ماذا يفعل..

أو كمراهق معقد بدلاً من أن يكثر من اللعب.. اختار أن يمسك قلمًا وينحني على ورقة منذ الصغر..

لا أدري صورتي هي أية صورة من هذه الصور في أعينهم..

ولكني أؤمن أنه أيًّا ما كانت الصورة..

فسببها أنهم لم يعتادوا في تقاليدهم على شخص يكتب..

ومعظمهم لم يعتادوا حتى على شخص يقرأ لأحد يكتب..

ولم يعتادوا أبدًا على شخص ينمو وقد اكتشف موهبته أو هوايته

داخله.. وآمن أنها سبب وجوده..

ربما كثرة الروتين والبيروقراطية في بلدنا قد علمت الناس أن يتبعوا الأنماط التقليدية في كل شيء - في التفكير وفي اختيار الطريق في الحياة.. ورؤيتهم للحياة برمتها..

ربما عودهم - وعودنا - الروتين أن نتصرف من دون تفكير ولا تأمل.. فلا نرى الحياة الحقيقية أبدًا..

ولم يعلمهم أبدًا أن يبحثوا داخلهم..

عن الشيء الذي..

يميزهم..

* * *

في مرة أخرى.. استلقيت على سريري..

لأجد نفسي أتذكر الماضي من جديد..

وسواء أكان قصيرًا أم طويلاً.. فدومًا يبدو وكأنه مرَّ سريعًا..

لأنه يمر فقط كمشاهد سريعة وأنت تتذكره..

أو بالأحرى.. وأنت تتذكر منه المشاهد التي انطبعت في عقلك وأثرت في نفسك..

تذكرت تلك المرة.. حينما كنت طفلاً صغيرًا..

حينما عاقبتني أمي..

لكنني لم أعتد على أن أعاقب؛ لأنـي كنـت طفـلاً هادئـا – أو هكـذا يروون لي على الأقل..

عاقبتني أمي بأن حبستني في غرفة..

في الحقيقة.. كانت غرفة مليئة بالألعاب..

ألعابي المفضلة..

فقد كان مرادها أن تحتجزني في الغرفة لبعض الوقت فحسب..

ولكن ألعابي المفضلة تلك لم تلفت انتباهي أبدًا تلك المرة..

والآن وأنا أتذكر ذلك الموقف.. لا أعلم كيف حصل هذا!

كيف لم أهتم ولم أشـغل بـالي للحظـة أن ألعـابي المفـضلة كانـت في الغرفة نفسها التي كنت محبوسًا فيها!

كل ما كنت أهتم به وما كان يشغلني هو كيف أستطيع أن أخرج من تلك الغرفة..

وها أنا الآن حينما أتذكر ذلك الموقف..

أظن أنه كان درسًا كبيرًا لي..

مع أنه كان درسًا غير مقصود..

لكنه أفهمني معنى مبدأ كبير في الحياة..

بل أفهمني معنى الحياة بأكملها..

فقد أفهمني معنى..

الحرية..

نعم.. أستطيع أن أرى وأتذكر ذلك الموقف جيدًا..

أستطيع أن أرى بدايته..

وأستطيع أن أرى نهايته..

وأستطيع أن أرى القصة التي تمثلها تلك الذكرى..

حفزني ذلك..

وقمت إلى مكتبي..

والتقطت قلمي..

وأحضرت أوراقي..

وكتبت..

حرية طفل

* * *

في يوم من الأيام..

حُبس طفل صغير..

حُبس في غرفة من غرف المنزل..

غرفة مليئة بالألعاب..

لكن إحساسه بحبسه كان يضايقه..

كان يتخبط بداخله..

ويعميه عن كل اللعب الموجودة حوله..

فيتخبط هو بدوره في الغرفة..

حتى حاول الفرار..

وبكل براءة الأطفال.. فتح باب الغرفة بهدوء..

وجرى خارجًا منها..

جرى فرحًا لاستطاعته أن يجري أينما يشاء..

ولكن أمه..

وفي قسوة حانية..

أرجعته إلى الغرفة مرة أخرى..

ومن جديد أخذ يتخبط في الغرفة..

فكر أن يهرب مجددًا.. لكنه كان قد عرف انعدام جدوى ذلك..

إلى جانب أنه لم يكن يريد أن يتعب أمه..

فلم يدرِ ماذا يفعل..

فقط.. عندها رأى تلك الألعاب الموجودة بالغرفة..

كانت لعبه المفضلة..

ففكر في أن يسلي وقته بما أنه لا يستطيع الخروج..

فأخذ لعبة من اللعب.. حاول اللعب بها..

لكنه وجدها لا تجذبه.. لا تسليه ولا تمتعه..

فأعادها مكانها..

وشعر بالحيرة والضيق والكبت..

وفي براءة الأطفال.. لم يدرِ ماذا يفعل..

فبكى..

وعلا صوت بكائه..

أكثر..

فأكثر..

حتى أسمع كل من كان بالمنزل..

وحتى..

فُتح باب الغرفة..

وجاءت أمه تقول وقد أخذتها الشفقة على ابنها الصغير:

لك مطلق الحرية الآن.. ودائمًا..

انطلق الطفل فورًا خارج الغرفة يجري..

فاردًا ذراعيه إلى جانبيه كأنه يطير..

فرحًا بانطلاقه..

فرحًا بالعودة للحياة..

فرحًا بـ..

حريته..

* * *

الفصل الخامس

في ذات مرة..

كنت أقرأ كتابًا في التنمية البشرية..

كان جزء منه يتحدث عن تحديد الأهداف بعيدة المدى وقريبة المدى.. وتدوينها.. وأن يضع الإنسان مكافأة لنفسه أمام أهدافه قريبة المدى.. ليشجع نفسه على تحقيقها..

وبالنسبة لي.. فالأهداف بعيدة المدى قد حددتها قبل وقت قصير..

يمكن اختصارها في أني أريد أن أكون كاتبًا..

ولقد دونتها قبل ذلك..

لأنه – كما قرأت – "الأهداف غير المكتوبة.. هي مجرد أمنية"..

إلا أنه في بعض الأحيان تنتابني حالات من القلق من الغد والمستقبل..

ومن إمكاني تحقيق أهدافي في الحياة..

خصوصًا أنني بنيت أهدافي في مستقبلي على قدرات آمنت في حاضري أنها موجودة في نفسي..

فماذا لو اختفت تلك القدرات في المستقبل ومع مرور الوقت؟!

يعني مثلاً.. من ضمن أهدافي كما قلت أن أكون كاتبًا.. فماذا لو بمرور الوقت لم أعد أستطيع الكتابة؟

ماذا لو اختفت الكلمات فجأة من رأسي ولم أعد قادرًا على تحريك قلمي ليكتب حرفًا واحدًا؟!

خصوصا أني أعلم جيدًا أن تلك الكلمات يبعثها الله من عنده.. والله قادر على أن يمنعها متى يشاء..

وهذا الأمر الأخير.. يسبب لي رعبًا حقيقيًا في بعض الأحيان..

لكني لا أظن أنه من الممكن أن يكون هناك هدف آخر لي في الحياة..

فلذلك أنا أمضي فيه..

وبالنسبة للأهداف قريبة المدى..

فلا أعتقد أني لدي أي أهداف قريبة المدى في الوقت الحالي..

ففكرت في هدف قريب أضعه لنفسي كي أمضي من خلاله إلى الهدف البعيد..

وقررت أن أضع لنفسي هدفًا بأن أكتب القصة التالية..

وستكون..

القصة السابعة..

فالتقطت دفتري الصغير الذي أدون فيه أي شيء عابر يخطر على بالي..

وأحضرت القلم..

وكتبت فيه..

"أهداف قريبة المدى:

كتابة القصة السابعة"..

ثم فكرت مرة أخرى..

ماذا أضع لنفسي كمكافأة عند تحقيقي هذا الهدف؟

سأحتاج لشيء يعجبني.. ولا أحصل عليه كثيرًا..

شيء سهل وبسيط.. من الممكن الحصول عليه.. لكن يؤدي غرضه كمكافأة..

وخطرت ببالي فكرة..

فدونتها في الدفتر الصغير بجانب الهدف..

"المكافأة:

عشاء خارج المنزل".

ثم أغلقت دفتري الصغير..

على الرغم من أن المكافأة بسيطة..

فإني شعرت بحماسة تتقد في داخلي..

لكتابة..

القصة السابعة..

* * *

في مرة كنت أتفقد بريدي الإلكتروني..

في العادة.. لا شيء مهم في بريدي الإلكتروني..

ولكن..

هذه المرة.. كانت هناك رسالة أهمتني جدًا..

كانت رسالة من دار نشر..

تعلن عن إقامة مسابقة في القصة القصيرة..

بحيث يرسل المتسابقون أعمالهم كقصص متفردة أو مجموعة قصصية كاملة..

وفي الحال.. ألح السؤال: لِمَ لا أشترك؟

نعم..

سأشترك بهذه المسابقة..

ولكن بما أني كنت على أعتاب كتابتي للقصة السابعة.. فسأكتبها أولاً.. ثم أرسل قصصي السبع كأعمال متفردة للمسابقة..

ثم وجدت نفسي ازددت حماسة لكتابة القصة السابعة..

ووجدتني أدفع نفسي إليها..

وأستعجل كتابتها قبل موعد انتهاء المسابقة..

فقد كان الحافز سابقاً لكتابة القصة السابعة.. هو مجرد عشاء خارج المنزل..

أما الآن..

فقد أصبح الحافز حافزين اثنين..

الأول هو عشاء خارج المنزل.. والثاني هو أن أرسل قصصي السبع للمسابقة.. لعلي أفوز وتنشر قصصي!

وكلما مر الوقت..

يزيد إلحاح نفسي أكثر على كتابة القصة..

وتلتهب الحماسة في نفسي لها..

ولكن المشكلة..

أنه لا توجد..

فكرة..

لا توجد فكرة تقوِّم حماسي هذا وتخرج فائدة منه..

فكنت أشعر أن حماسي حماس أجوف..

لا قيمة له بمفرده..

وزاد استعجالي أكثر وأكثر..

حتى..

توقفت..

وعجبت لنفسي..

كيف أتعجل أمرًا ليس بيدي؟

أفبيدي أن أخلق فكرة؟!

بالطبع لا.. لا أستطيع أن أخلق فكرة من العدم..

فلا يستطيع أي إنسان أن يخلق أي شيء من العدم..

حتى الخيال.. لا يمكن أن يبنى على العدم..

فكل خيال ينطلق من نقطة من الواقع..

ولكن فجأة..

بدأت تتشكل فكرة في خاطري..

وما لبثت أن اكتملت حتى أسرعت إلى مكتبي..

لأمسك بقلمي..

وأهيئ أوراقي..

أخيرًا..

لأكتب..

القصة السابعة

* * *

أخيراً..

جاءتني فكرة قصة..

كتبت ست قصص إلى الآن..

وكنت أمني نفسي بكتابة القصة السابعة..

ولكن بعد القصة السادسة.. انقطعت أفكاري لمدة طويلة..

لم أجد فكرة لأكملها..

لتكون قصة..

كنت أحاول ابتداع فكرة..

لكن الأفكار تأتي.. تصطدم برأسك.. ولا تُبتَدَع..

ففشلت في ذلك..

ولكن على أي حال ها قد جاءتني الفكرة..

وها أنا أكتب القصة..

لأحتفل بأنها القصة السابعة..

لأنني كنت قد قررت أن بعد كتابتي للقصة السابعة.. سأقدم قصصي السبع لمسابقة تقيمها دار نشر..

وإن فازت قصصي السبع.. ستنشر باسمي..

وها أنا أنهيت القصة..

وغمرني هذا بالحماس اللامحدود..

ولم أستطع مقاومة رغبتي بالذهاب إلى مقر دار النشر في الحال..

لتقديم قصصي السبع..

فلملمت قصصي السبع.. وحرصت على ألا تتطاير مني..

وأنا أركض إلى دار النشر..

وعندما وصلت إلى الدار.. وقفت..

لأفرد هيبتي على جسدي.. ومن ثم دخلت..

كلي ثقة وتفاخر..

لم أدرك تفاصيل المكان ولم أعبأ به..

إلا أني رأيت أمامي رجلاً..

فاتجهت إليه فوراً.. وسألته عن كيفية تقديم قصصي للمسابقة..

فنظر إليّ ببرود وسألني:

أية مسابقة التي تقصدها؟

وبعد شرح طويل.. بذلت فيه عناء أطول..

فوجئت بندائه غاضبًا متململاً لرجل آخر.. ليسأله عن المسابقة التي أقصدها..

ولم يدر أية مسابقة هو الآخر.. لينادي شخصًا آخر بدوره ليسأله..

ودام هذا الحال طويلاً..

وكلهم ينظرون إليّ باستغراب وربما بشفقة.. ولا أدري لماذا..

إلى أن جاء الرد إليّ أخيرًا..

جاء إليّ غير مهتم..

ليخبرني أن المسابقة انتهى موعدها..

كيف؟

لا أدري.. لا أدري إذا كنت قد نسيت موعدها بسبب انشغالي بفكرة القصة

السابعة..

أم هم الذين أنهوا المسابقة فجأة.. أو ربما لم تكن هناك مسابقة أصلاً!

بل شككت إذا كان المكان الذي قصدته هو دار النشر..

وخرجت من ذاك المكان على أي حال..

خرجت مصدومًا.. يائسًا..

وحال خروجي..

رأيت رصيف الشارع تحت قدمي..

رأيته فسيحًا مريحًا لتعبي وشقائي.. ومرحبًا بمثلي..

وشعرت بيدي التي أحمل بها قصصي السبع تشتكي من حملها..

فافترشت الرصيف..

ونثرت قصصي السبع أمامي..

لأبيعها بسعر زهيد..

زهيد جدًّا..

وجعلت أغلاها ثمنًا..

القصة السابعة..

* * *

بعدما أنهيت القصة السابعة..

قمت وكتبتها على الحاسوب..

وبكل سرور..

أرسلت قصصي السبع بالبريد الإلكتروني إلى دار النشر لتدخل المسابقة..

وتفاءلت خيرًا..

تفاءلت فقط لأني لا أحب التشاؤم..

والآن حان الوقت لأحصل على تلك المكافأة التي قد قررتها لنفسي..

عشاء خارج المنزل..

ولكنني أفضل صحبة أحد معي..

بحثت في عقلي عن أحد قريب مني قد لا يمانع في ذلك..

وعلى الفور..

جاء في ذهني صديق لي.. يحب جدًّا الأكل خارج المنزل..

ويعشق الذهاب إلى المطاعم..

توقعت أن يوافق.. لأنه كان دائمًا يدعوني لعشاء خارج المنزل.. وأنا من كنت أرفض..

وقد حان الوقت لأدعوه..

وعلى الفور..

قمت إلى الهاتف لأتصل به..

أجابني بصوته الهادئ ببرود كعادته..

وأنا في حماس شديد قلت له:

- لِمَ لا نذهب للعشاء خارج المنزل الليلة؟

- على حسابك؟

- لا طبعًا!

- أيًّا ما كان.. هل أنت جاد؟

- نعم!

وكما توقعت.. وافق على الفور.

وحينما جاء الموعد..

ذهبنا إلى أحد المطاعم القليلة في بلدتنا الصغيرة..

ذهبنا.. وأخذنا كرسيين على طاولة.. وجلسنا..

طلبنا ما نريد.. ثم انتظرنا..

وحين جاء عامل المطعم أخيرًا.. ليضع أمامنا طبقي بيتزا..

وضع كلانا وجهه في طبقه..

وبدأنا نأكل على الفور..

ولم يتفرغ فاه أحد منا لأن ينطق بحرف واحد!

إلى أن توقفت أنا..

لأتردد قليلاً..

ثم آخذ قراري بأن أقول ما في ذهني والسلام..

فقلت: هل تعلم ما السبب الذي جعلني أدعوك للعشاء؟

رفع وجهه عن الطبق وقال لي في استغراب: لا!

تشجعت ودفعت نفسي لأقول: فكرت أن أخرج للعشاء معك احتفالاً بأنني أنهيت كتابة قصة مؤخرًا.. إنها القصة السابعة في ترتيب قصصي..

قال لي باستنكار: قصة؟!

تلعثمت قليلاً وأنا أقول: نعم.. فأنا.. أكتب.. أكتب قصصًا..

نظر إليَّ باستغراب بارد..

ورفع حاجبه الأيمن ومط شفتيه..

وثبت نظره عليَّ لثوانٍ معدودة..

ليعود ببرود ويضع وجهه في طبق البيتزا الذي أمامه في صمت..

وبدأ يلتهمها من جديد..

وعدت أنا بدوري للبيتزا التي أمامي..

ألتهمها وأنا أبتسم..

من رد فعله..

المتوقع..

الفصل السادس

كم أحب القراءة!

فأنا أحمل جميل مكتبتي الصغيرة جدًّا جدًّا.. والمتواضعة إلى أقصى حد.. بكتبها القليلة وقصصها ورواياتها.. التي جذبتني سطورها واحتضنتني بين صفحاتها ساعات طويلة.. لم أجد فيها غير القراءة مؤنسًا..

وإني لأدرك أن قراءاتي القليلة وقصيرة العمر قد افتدتني من شرور أراها قد سادت في زماننا هذا.. من فقدان معنى الحياة وافتقاد الهدف للعيش.. والكثير من التوتر والبحث غير المنتهي عن السعادة في طريق خاطئ.. وإني الآن لأحمد الله أني بمنأى عن ذلك كله.. بسبب القراءة.. وأحمد الله أكثر على استئناس الكتاب لي واستئناسي له!

وإني لأؤمن أن الكتاب من عبقريات الزمان.. عندما تطوى الصفحات الورقية بين طيات الكتاب.. المليئة بالكلمات المكونة من الكثير

من الحروف المصطفة جنبًا إلى جنب.. والموصولة ببعضها.. يتحول الكتاب إلى نافذة تطلعك على عقل كاتبه.. الذي بدوره يحوي عقول أجيال وأجيال.. بل ويسمح لك بإضافة هذه العقول كلها إلى عقلك.. فتصبح إنسانًا أقوى وأكثر صلابة وأكثر حكمة.. وتصبح إنسانًا قد رأى من الزمان أضعاف عمره.. وبها تضيف إلى معرفتك الكثير لتستطيع مواجهة تحديات الحياة.. والاستمتاع بها.

فكم أدين لكل حرف قرأته وكل كلمة وقعت عليها عيني وكل كتاب احتويته بين يدي واحتواني هو بين صفحاته! وسأدين لكل كتاب سأقرؤه طوال عمري دينًا لن أستطيع رده أبدًا!

والمهم..

أنني في مرة.. كنت أقرأ كتابًا آخر عن التنمية البشرية..

وقرأت قصة واقعية قد حدثت بالفعل مذكورة في الكتاب..

تحكي القصة عن امرأة كان أبوها مريضًا.. في عداد أنه على فراش الموت.. وجاءها هاتف متأخر في الليل.. وما كادت تسمع رنين الهاتف حتى قالت لنفسها إن هذا الهاتف لا بد أنه يحمل نبأ وفاة أبيها.. وانخرطت في البكاء الشديد لذلك.. وأخذت تشعر نفسها كما لو أن المتصل في الهاتف قد أخبرها بنبأ وفاة أبيها بالفعل! ولكن في النهاية سلمت

أمرها وشجعت نفسها ومدت يدها لتلتقط السماعة..

وتجيب على الهاتف..

لتدرك أن المتصل..

قد أخطأ في رقم الهاتف..

وحسب..

وأن المتصل رجل غريب.. ليس له علاقة بوالد هذه المرأة ولا بمرضه.. ولا بها هي شخصيًا وهي التي أفرطت في البكاء كما لو أن أباها قد مات بالفعل!

أحيانًا..

نقدِّر نحن بني البشر الأحداث قبل وقوعها.. من فرط توقعنا وتنبؤنا لها..

ونكاد نقنع أنفسنا أنها حدثت بالفعل أو أنها حادثة لا محالة..

وننسى أنه من الممكن أن يقع عكس المتوقع تمامًا..

فالله القادر على كل شيء..

قادر على ذلك!

يعني مثلاً..

في القصة السابقة..

ماذا لو كان ذلك الاتصال يحمل خبر شفاء الوالد شفاء معجزًا ومفاجئًا؟!

أو ماذا لو كان يحمل خبر وفاة شخص آخر غير متوقع تمامًا؟

أو ماذا لو...؟

وهنا..

وجدت نفسي من جديد أبني من وراء قصة واقعية واحدة..

عشرات القصص من خيالي..

وثبتت فكرة إحداها في رأسي..

وشعرت بحماسي لها..

لدرجة أني..

لم أكد أنهي ما أردت قراءته.. حتى أغلقت الكتاب..

ووضعته جانبًا..

ومددت يدي إلى القلم..

وجهزت أوراقي..

وكتبت..

قصة

* * *

صحوت الليلة من النوم برنين مفزع للهاتف..

شعرت بذلك الإحساس الرهيب الذي ينتاب معظم الأشخاص عندما يقطع رنين الهاتف هدوء الليل وسكونه.. ويقطع نومك أيضًا..

خصوصا لو أن أباك على فراش الموت..

احتضنه الإعياء الشديد.. وأصبح ذاك الخبر متوقعًا..

خبر فراقه للحياة..

عندما سمعت أول رنين الهاتف.. كنت مؤمنة بأنه ذلك الخبر..

سيتلوه عليَّ أحدهم حالما ألتقط سماعة الهاتف..

وكلما أطال الرنين زاد توتري.. بل ساقني إلى انهيار عصبي..

لا أريد أن ألتقط سماعة الهاتف..

لم يستيقظ أحد غيري إلى الآن..

ولكن ها هو زوجي محمود.. استيقظ أخيرًا..

تقدم إلى الهاتف بتخبط ووهن وضيق..

التقط سماعة الهاتف ووضعها على أذنه..

أخيرًا أراح أحدهم هذا الهاتف ورنينه..

لم يتكلم محمود غير كلمتين.. وظل مستمعًا فقط..

وبعد عشر ثوانٍ من صمته واستماعه..

وقعت سماعة الهاتف من يده فجأة.. وهوى كجثة هامدة على الكرسي المجاور له..

رأيت بؤبؤي عينيه يضيقان.. وفزعت أنا بدوري..

إذًا.. هو فعلاً ذلك الخبر.. كما كنت متوقعة.. لكني عدت أسأل محمود..

أخذت أصيح به: من كان المتحدث؟ ماذا هناك؟

ولكن بلا جواب.. كان محدقًا في الفراغ أمامه.. فاغرًا فاه..

واستيقظت ابنتي الكبيرة.. وتقدمت إلى أبيها بوهن.. ثم سألته عما به..

حدق بها محمود بدلاً من الفراغ لوهلة ثم قال:

عزيزتي.. أمك!

لقد.. ماتت أمك!

لم أعرف ما ذاك الذي يقوله محمود..

رأيت ابنتي تسمرت في مكانها.. لكني كنت متسمرة في مكاني أكثر..

أفاقني قليل من صريخ ابنتي وبكائها الذي أيقظ ولديَّ الصغيرين الآخرين مفزوعين..

ليشاركاها البكاء بعد قليل..

ما الذي يتحدثون عنه؟ أنا هنا!

أخذت أصرخ وأقفز أمامهم بهستيرية: أنا هنا!

لكنهم لم يكونوا يسمعونني.. لم ينظروا ناحيتي حتى..

وحاولت مجددًا ومجددا.. لكن دون جدوى!

وفي خضم دهشتي واستغرابي العارمين.. بدأت ذكرياتي تتخلل خاطري..

لقد خرجت في المساء هذا اليوم..

نعم.. خرجت لزيارة أبي المريض..

ذهبت بسيارتي..

أوقفتها.. ونزلت أترجل منها لأعبر طريقًا ما..

نعم.. كان طريقًا سريعًا..

كنت أعبره متوترة.. بل خائفة.. قلقة على أبي المريض..

كدت أعبر الطريق.. تقريبًا عبرته..

لا.. ففجأة شعرت بصدمة في ساقي اليمنى..

كانت سيارة مسرعة.. صدمتني.. وشعرت بأني ارتفعت عن الأرض لمدة قصيرة.. أو طويلة.. لم أدرك شيئًا.. ثم شعرت بالألم وسقطت و...

وانتهى كل شيء..

ظلام حالك خيَّم على كل شيء.. كأنما قد أسدلوا ستار المسرح..

وأغلقوا الأنوار..

سكت قلقي وخوفي فجأة..

وسكت كل شيء...

نعم.. أنا من غادرت هذه الحياة وليس أبي..

مع أن أبي هو من كان...

انقطعت أفكاري عندما رأيت أبي يدخل البيت.. يدخل بصعوبة متكئًا على عصاه..

ارتسمت على وجهه مرارة وهو يقول لمحمود:

البقاء لله..

يكاد يكون قد تماثل هو للشفاء.. و...

ورحلت أنا!

* * *

أصبحت أدرك الآن أن مهمة الكاتب الحقيقية هي أن يكون باحثًا..

باحثًا عن تجارب الآخرين وقصصهم..

فتجاربه الشخصية فقط ليست كافية لتملأ أوراقه التي يكتبها..

وعامة.. فتجارب الإنسان قليلة ولو كثرت..

إذًا فعليه أن يبحث ويسعى ليسمع الآخرين وهم يحكون تجاربهم

وقصصهم..

أو يبحث عنها مكتوبة..

أو يسعى لأن يكون شاهدًا عليها..

أو يبحث عنها بأي شكل من الأشكال..

حتى لو كانت تجربة خيالية.. فهي من خبرة خيال شخص آخر والذي بدوره لا بد أنه مبني على نقطة ما من الواقع..

فهي مهمة تستلزم الصدق في الإنصات للآخرين والتدقيق والتأمل والتفكير والبحث..

والتفلسف..

فعندما يرى الكاتب أو يسمع أي قصة أو أي شيء عادي..

يدفعه شيء ما لأن يرهق عقله في التفلسف فيه.. ليبني قصصا لخياله من ورائه..

فكم هي مهمة صعبة..

أن يسعى الإنسان للتفلسف في كل شيء..

حتى لو كان بسيطًا!

* * *

أصبحت الآن أعرف أماكن أكثر على الإنترنت لأنشر ما أكتب..

وكلما دخلت إلى مكان..

تعرفت على أشخاص أكثر مهتمين بالقراءة..

ومهتمين بالكتابة..

وتعرفت على كتاب شباب أكثر..

جميعهم قد اتخذ الإنترنت مكانًا لنشر كلماتهم..

ومنهم من هم حقًّا مهتمون بقراءة قصصي وكلماتي.. كما أنا مهتم بقراءة ما يكتبون..

كما زاد عدد المهتمين بقصصي من غير الكتاب الشباب أيضًا..

فلقد بدأ يتابع قصصي واحد من عائلتي..

بجانب أنني اكتشفت أن واحدًا من أصدقائي يحب قراءة القصص.. وما كاد يعرف أني أكتب القصص حتى طلب مني أن أريه بعضها بشغف واضح.. فطبعت له كل القصص التي كتبتها إلى الآن وأعطيته إياها..

وقد أعجب بها حقًّا..

ولقد دفعني إعجابه هذا بقوة.. حتى إنني لن أنسى الجملة التي قالها وهو يعبر لأحد أصدقائنا عن إعجابه الشديد بقصة من قصصي..

فتلك الدفعة التي دفعني إياها تقدير وإعجاب ذلك الصديق

العزيز..

وزيادة عدد المهتمين بقصصي..

يبدوان أمرين مشجعين ويدعوان للتفاؤل.. وانشراح الصدر..

ويعملان على تطييب الخاطر..

ولكن.. على الجانب الآخر..

كنتيجة لتفقد بريدي الإلكتروني بانتظام كل يوم..

بل بانتظام كل صباح ومساء..

انتظارًا من رد من دار النشر التي تقيم تلك المسابقة..

وجدت أنهم لم يردوا عليَّ بعد..

بل.. ولن يردوا عليَّ أبدًا..

لأنه..

قد فات على ميعاد ظهور نتيجة المسابقة..

أيام..

عدَّة..

ومن دون رد..

الغريب.. أني وجدت نفسي غير متأثر بذلك..

ربما لأنني لم أكن أعول أملاً كبيرًا في أن تفوز إحدى قصصي..

وربما لأنني لم أعول أملاً في أي رد منهم أصلاً..

وعلى كل حال..

فقد أصبح لديَّ الآن شحنتان كبيرتان متضادتان..

شحنة إيجابية كبيرة على جانب.. وأخرى سلبية وكبيرة أيضًا على الجانب الآخر..

ولديَّ الخيار لأختار بينهما..

ولكني لا أرى بديلاً للأمل..

وللتفاؤل..

فأخذت بالشحنة الإيجابية..

وحاولت جاهدًا ألا أتأثر بالشحنة السلبية الكبيرة..

ومضيت..

في طريقي.

الفصل السابع

ما أريده حقًّا الآن هو أن أذهب إلى تلك الكاتبة الشابة التي كنت قد قابلتها في الجريدة منذ فترة.. وأريها قِصصي التي كتبتها إلى الآن.. وأريها أنني لم أتوقف عن الكتابة..

وأريها أن نصائحها قد أثمرت فعلاً..

وأنها لم تكن مخطئة حين قالت إنها متفائلة بي..

كما أني أتطلع إلى الحديث معها مجددًا..

حقًّا أتمنى ذلك..

لكن المشكلة الكبيرة هي أنني نسيت عنوان عملها الذي كانت قد قالته لي في مقابلتنا في الجريدة!

لا أعرف كيف!

أنا حقًّا حزين أني نسيته..

أحاول جاهدًا أن أتذكره.. ولكن لا أستطيع..

فأنا لم أدخله في عقلي أصلاً..

كنت في حالة شتات في تلك اللحظة التي قالت لي فيها العنوان..

ولم يكن تركيزي في تلك اللحظة على العنوان.. وإنما كان تركيزي بعد نصائحها لي على المسئولية التي كنت قد بدأت في اكتشافها.. وعلى بدء تفكيري في نيتي بعدم الكتابة مرة أخرى أصلاً..

ربما إرادتي القوية في أن أذهب إليها هي بسبب إرادتي لبحثي المستمر عمَّن هم مهتمون بما أكتب.. ولبحثي عمَّن المكن أن أكتسب منه خبرات أكثر..

وبالخصوص تلك الشابة.. فهي التي دفعتني لتوجيه وجهي للقصة القصيرة ووجهت وجهي لأن أرى جانبًا في الكتابة لم أرَه أبدًا من قبل.. فكما فعلت ذلك كنت أتطلع حقًّا أن تساعدني في أن أرى جوانب أكثر وأكثر..

ولن أمل من ذلك..

ولكن..

مجددًا.. أؤنب نفسي أني لم أحفظ العنوان..

فذلك خطأ سخيف قد ارتكبته..

لكن عاقبته أنه سيضيع عليَّ خبرات كثيرة كان من الممكن أن أستفيدها منها..

سيضيع هذا الخطأ عليَّ الكثير..

بلا شك.

* * *

ربما لن أبالغ إذا قلت إن أكثر اللحظات في حياتي اختلاطًا في الشعور هي عندما أصل إلى نهاية السطر الأخير في كتاب أقرؤه..

فأجد نفسي قد اختلط في داخلي الشعور بالرضا لإرضاء الحماس والفضول اللذين يشتعلان في داخلي لمعرفة نهاية الكتاب فور بدء قراءة سطوره الأولى..

مع الحزن الشديد لأني أنهيت الكتاب الذي أمتعني كثيرًا وقت أن فضلته على أشياء أخرى لأفعلها أحيانًا.. أو عندما أعاني الملل والضيق في أحيان أخرى..

ويزيد حزني أكثر..

خاصة..

إذا كان هذا الكتاب الذي قد وصلت إليه لتوِّي..

هو آخر كتاب في مكتبتي الصغيرة..

لأن هذا يعني شيئًا واحدًا..

وهو أيام بل وربما أسابيع وشهور من دون كتب ومن دون قراءة؛ لأنه في بلدتنا الصغيرة – مما يثير الضجر أكثر – لا توجد مكتبات لبيع الكتب.. أو حتى مكتبة عامة حقيقية تلبي ما تشتهي نفسك من كتب.. وتوفره لك ولو حتى بالاستعارة..

أو يمكن قول هذا بشكل أفضل هكذا: إن في بلدتنا الصغيرة لا أحد يقرأ تقريبًا.. ولن أدعي أن هذه المشكلة هي مشكلة بلدتنا الصغيرة فقط.. بل هي مشكلة دولتنا الكبيرة عامة!

على كلٍّ.. فالأمر من دون كتب ولا قراءة بالنسبة لي يعني مزيدًا من الضجر والملل..

والكثير من البحث عن أشياء لتضييع الوقت.. مع أني حقًّا لا أحب فعل ذلك.. وتلك هي المشكلة..

وعندما يصل بي الحال هكذا..

أرجع إلى الشيء الذي دومًا لم أحببه.. لكن تهديد الملل والضجر لي يدفعانني إليه..

إنه..

التلفاز..

هذا الشيء الذي لم أكن يومًا من أكبر معجبيه أو متابعيه - باستثناء حينما كنت أتابع المسلسلات الكرتونية القليلة التي كنت أشاهدها..

فأنا لست بارعًا أبدًا في حفظ توقيت عرض الأفلام والمسلسلات..

حتى لو أعجبني الفيلم أو المسلسل وهُيئ لي أنني سأنتظره وبشغف..

أدرك بعدها بأيام عدَّة..

أنني قد فاتني ميعاده..

من أجل انشغالي بأي شيء آخر..

أي شيء..

إذًا فالأصل عندي أن أقوم بأي شيء غير مشاهدة التلفاز..

لكن ها أنا الآن أجد نفسي قد أجبرني احتياج أزمة الموقف.. وأجد نفسي قد ارتميت على الأريكة أمام التلفاز وأمسكت بالريموت - أو الحاكوم كما أراد مجمع اللغة العربية أن يسميه - وأقلب بين القنوات الكثيرة والعديدة بغباء..

أقلب وأقلب..

ولا أجد شيئًا..

وهذا أيضًا أحد الأسباب في أنني لا أحب التلفاز..

فأحيانًا تستمر وتستمر في التقليب بين القنوات أملاً في أن تجد شيئًا يعجبك ويحترم عقلك كمشاهد.. وقد لا تجد شيئًا في النهاية وتغلق التلفاز بعد كل تلك المحاولات التي أخذت منك وقتًا كبيرًا..

واستمررت في التقليب..

حتى..

قررت أن أثبت أخيرًا على قناة..

كانت تعرض مسلسلاً..

وليس أي مسلسل..

بل مسلسل تركي!

كان رأيي عن المسلسلات التركية منذ أن ظهرت فجأة أنها مسلسلات سطحية.. ليست بها قصة.. ولا تمس أي عمق للحياة..

بل كل حلقة تنقضي بتحديق "العشاق" لبعضهم البعض أو بتحديقهم للفراغ اللانهائي! والإطالة في التعبيرات عن الصدمة أو الفرح أو البكاء... إلخ.

وطبعًا بجانب الكثير من القبلات التي غالبًا ما تكون محور

الأحداث الرئيسية في المسلسل..

وكونت رأيي هذا في الحقيقة من غير أن أشاهد حلقة كاملة منهـا.. بل كنت مقتنعًا أن إعلاناتها أو مشاهدة لقطات عابرة منهـا كافيـة لتكـوين هذا الرأي..

وقد كان هذا الرأي منطقيًّا جدًّا بالنسبة لي..

ولكن..

لِمَ لا أمنح هذا المسلسل التركي الذي سيعرض أمامي فرصة..

وأمنح نفسي فرصة أيضًا..

فرصة لتكوين رأي جديد وللحصول على نظرة أشمل..

خاصة أنه ليس لديَّ شيء آخر أفعله على الإطلاق..

وأنهم سيبدءون في عرض الحلقة الأولى منه الآن..

فسيمكنني هذا من تكوين رأيي بطريقة أمثل؟

فأخذت نفسًا عميقًا..

وتلفتُّ حولي لأتأكد ألا أحد يجلس قريبًا بإمكانه أن يراني أشـاهد مسلسلاً تركيًّا وأنا الذي أسخر دومًا من المسلسلات التركيـة..

وقررت أن أترك القناة..

ووضعت الريموت جانبًا..

وبدأت الحلقة..

وبعد فترة من المشاهدة..

بدأت أنجذب لذلك المسلسل..

لا أعلم لماذا..

ربما شعرت أنه مسلسل تركي متميز..

متميز عن أمثاله المسلسلات التركية الأخرى..

متميز في ماذا؟

لم أقرر بعد..

وانتهت الحلقة..

وقررت أن أتابعها مرة أخرى غدًا..

فقد حفظت ميعاد عرضه..

كل يوم.. الثامنة مساء.. عدا يوم الجمعة..

وكنت متوقعًا أنني سأنساه كباقي المواعيد التلفزيونية..

لكن الغريب أنني لم أنسه..

وفي اليوم التالي..

وفي الثامنة مساء..

أجد نفسي أرتمي على الأريكة مجددًا..

وأفتح تلك القناة..

وأشاهد ذلك المسلسل..

فشعرت أنه يتميز عن باقي المسلسلات التركية.. بأن هذا المسلسل..

به قصة..

نعم.. أعتقد أن القصة هي التي جذبتني لهذا المسلسل دونًا عن نظرائه..

وانتهت الحلقة الثانية..

وفي اليوم التالي وجدت نفسي مرة أخرى أرتمي على الأريكة لأشاهد المسلسل..

وفي اليوم الذي تلاه..

وفي اليوم الذي بعده..

والذي بعده..

ولكن كلما تمر الحلقات غيرت رأيي المبدئي عن هذا المسلسل.. فأكتشف أن حتى ذلك المسلسل لا يختلف عن باقي المسلسلات التركية في

كثير من الأشياء.. فهو الآخر لا يخلو من التحديق اللانهائي والمبالغ فيه في الفراغ ومن الشخصيات لبعضها البعض.. وأيضا في النهاية تدور قصته عامة عن عشيقين "يخوضان حروب الحياة" ليكونا مع بعضهما..

واكتشفت أن القصة التي أعجبتني والتي ظننت أنها القصة العامة للمسلسل..

اكتشفت أنها ليست كذلك..

وأنها ليست القصة المحورية.. التي تدور حولها أحداث المسلسل..

وأنها مجرد قصة صغيرة في البداية..

ولكن على أي حال..

فتلك القصة..

هي التي أعجبتني..

وهي التي جذبتني..

وبما أنني لم أعرف نهايتها بعد..

فأخذ خيالي ينسج نهايات مختلفة لها..

ويعدل فيها هي أساسًا..

ليبنيها كلمة فوق كلمة في رأسي..

فقررت وتحمست..

لأن أنقل قصتي التي هي في خيالي إلى الواقع..

قبل أن أعرف نهاية القصة الفعلية..

فتركت أريكتي أخيرًا..

لأريحها.. وأنطلق أنا إلى مكتبي..

لأمسك بقلمي..

وأهندم أوراقي..

وأكتب..

قصة

ألم الضمير

* * *

أخيرًا.. جئتَ يا بنيَّ..

أخيرًا.. أستطيع رؤيتك أمامي..

كم مضت من سنين..

أصبحتَ رجلاً يا بنيَّ..

وكم مضت من أيام..

أيام أخيرة.. مؤلمة.. بالنسبة لي..

لم أرد فيها غير الاعتذار..

لم أرد فيها غير أن أعتذر لك يا بنيّ..

لهذا.. أرسلت لك كي تأتي..

ولم أكن أتوقع أن تستجيب وتأتي..

ولكن لطيبتك.. تمامًا مثل أمك..

قبلت أن تأتي..

قبلت أن تأتي بعد كل تلك السنين.. وكل تلك الأعوام..

أعوامك الأولى..

التي لا بد أنها حُفرت في ذاكرتك كعلامات مظلمة.. مؤلمة.. لظلمي لك.. ولأمك..

أعوام طويلة يا بني.. تلك التي انقضت بعد طردي لك ولأمك من المنزل..

طردتكما في الشارع.. تمامًا بلا مأوى.. فقط.. بناء على طلب زوجتي الثانية..

تلك المرأة التي تزوجتها أنا.. ولا بد أنك تتذكرها..

تزوجتها.. بعد أن مرضت أمك.. بعد إنجابها لك بأعوام قليلة جدًا..

وعندما أصابها السرطان..

ففقدت شعرها.. وفقدت ملامحها..

وفقدت جمالها.. الذي تزوجتها له..

وأصبحت تستلزم علاجًا طويلاً.. ومكثفًا..

وخيرتني زوجتي الأخرى بينكما وبينها في المنزل..

فطردت أمك إلى الشارع.. ومعها أنت بنيًّ.. ومعها مرضها..

ولم أعلم ماذا حصل لكما كل تلك السنين.. فلم أسأل عنكما حتى..

ولكن لا بد أنكما عانيتما عناءً شديدًا..

لهذا.. أردت أن أعتذر..

أرجوك.. لا تنظر إليَّ هكذا.. بنيًّ..

أعلم أن اعتذاري لن يفيدك بشيء..

ولن يمحو ذكريات معاناة وظلم تلك الأعوام الأولى من حياتك.. التي نحتت في ذاكرتك..

ولا تلك الأعوام التي عانيت فيها وحدك..

بعد ممات أمك..

ولكني.. قررت أن أقدم كل ما أستطيع أن أقدمه..

أملاً في أن أريح ضميري.. وقد أصبحت على مشارف الموت..

ضميري الذي أعلم أنه من المستحيل أن يرتاح تمامًا..

لكني لا أطيق تحمله بنيَّ.. فعذاب ضميري حتى في أيامي القليلة هذه حتى أموت..

هو عذاب لا يحتمله بشر..

لذا فقد قررت يا بنيَّ.. أن أكتب لك في وصيتي كل ممتلكاتي وأموالي وثرواتي الضخمة.. لك وحدك.. دونًا عن زوجتي العجوز.. ودونا عن أولادي الآخرين..

كاعتذار يتمنى القبول مني لك..

بنيَّ..

"عزيزي.. لا يصح أن تقف هنا وحدك.. فالناس ينتظرونك بالداخل ليقدموا لك العزاء في ابنك الحبيب"..

قالتها امرأة عجوز في خبث.. لتقطع أفكار وخواطر زوجها الذي بدا أنه شرد بخياله الحزين بعيدًا.. ودموعه تنهمر من عينيه.. محدقًا في الفراغ أمامه.. وهي تضع يدها العاجزة الواهنة على يده الأكثر عجزًا ووهنًا.. والتي تتكئ على عصا خشبية..

قادته المرأة إلى داخل المنزل في بطء خطوات عاجزة..

وهو يسمع في طريقه أصواتًا هامسة تقول لبعضها:

"يا له من عجوز مسكين حزين..

لم يرَ ابنه منذ أكثر من عشرين عامًا..

والآن.. حينما هداه الله وقرر أن يرى ابنه..

مات ابنه.. في حادث سيارة..

في طريقه.. إليه!

* * *

ما زلت أتابع ذلك المسلسل..

بمرور الحلقات أتأكد أكثر أن هذا المسلسل يتجه لوطن المسلسلات التركية..

يتجه لتلك المنطقة..

الرومانسية بزيادة وبملل..

ولكني ما زلت أتابعه.. أملاً في أن أجد فيه احتواءه لقصص أكثر حتى ولو كانت قصصًا فرعية.. أو أجد فيه لمسة ثانية للحياة الواقعية..

وفي يوم..

وفي الثامنة مساء..

فعلت كما اعتدت أن أفعل منذ أن بدأ عرض المسلسل: أرتمي على الأريكة أوتوماتيكيًا بلا شعور.. وأفتح القناة وأشاهد المسلسل..

ولكن..

هذه المرة لا يوجد مسلسل..

فانتظرت قليلاً.. عسى أن يكون مجرد تأخير في عرضه اليوم..

ولكنه لم يأتِ..

فانتظرت أكثر..

وأكثر..

لكنه لم يأتِ أيضًا..

فشككت للحظة أن هذه هي القناة الصحيحة..

لكني رأيت شعار القناة في أعلى أيمن الشاشة.. فتأكدت أنها هي القناة الصحيحة..

إذًا.. فأين المسلسل؟!

وضعت يدي على خدي واحترت..

أين المسلسل؟!

وأخيرًا..

تذكرت..

أن اليوم..

هو يوم..

الجمعة..

وتذكرت أنهم لا يعرضون المسلسل يوم الجمعة..

أصابني الضيق الشديد.. خاصة بعد كل هذا الانتظار..

ولكن ما الجديد؟! فأنا أعلم جيدًا أني فاشل تمامًا في حفظ مواعيد عرض أي شيء على التلفاز باستمرار..

وعلى أي حال..

فقد عدت لمللي مرة أخرى..

وعدت لتيهي بين القنوات..

وتذكرت كم أن هذا المسلسل التركي السخيف كان يؤويني في مثل هذا الوقت من زحمة القنوات ومللها..

وأخذت أقلب بين القنوات..

وأقلب وأقلب..

وأقلب..

حتى وجدت مذيعة حسناء على قناة من القنوات..

وكنت قد يئست أن يكون هناك شيء آخر لأشاهده..

فتركتها..

ورأيت أن ضيفها رجل مهيب وقور..

اتضح من حواره مع المذيعة الحسناء أنه تقريبًا واحد من المثقفين أو المفكرين.. لكنني في الحقيقة لم أعرفه..

فتركت القناة.. واستمعت إلى حواره مع المذيعة..

كان يحكي عن تجربة مر بها..

تجربة عملية جراحية خطيرة..

وكيف حضروه للعملية وكيف دخلها..

وكيف خدروه..

وكيف أنه ظن أنه لن يستيقظ مرة أخرى وأنه سينتقل إلى الحياة الأخرى..

الحياة الأبدية..

وكيف أثرت هذه التجربة على نفسه بعد ذلك..

فكان يحكي تجربته كأنها قصة..

فقلت لنفسي:

إن الحياة قصة..

قصيرة جدًّا لمن عاشها..

وطويلة لمن ينظر لها..

لكن الاثنين أجمعا على أنها..

قصة..

والتجربة هي جزء من الحياة..

إذًا فتجربة هذا الرجل..

يمكن القول: إنها..

قصة..

قصة قصيرة..

ومجددًا قفزت الفكرة إلى رأسي واشتعل الحماس في قلبي ليأخذ مكان الملل البارد..

وقفزت أنا من على الأريكة.. وهممت بالانطلاق إلى مكتبي.. لكني توقفت للحظات ونظرت لها..

نظرت إلى الأريكة..

الآن بتُّ أشعر أنها مصدر كبير للإلهام!

أريكة الإلهام!

لكني تركتها.. وذهبت إلى..

مكتبي كالعادة..

أمسكت القلم مرة أخرى..

ورتبت أوراقي مجددًا..

وكتبت..

قصة عذاب النور

* * *

بدأت أشعر بالخوف..

الآن فقط بدأت أشعر بالخوف..

عندما أخبروني أني سأخضع لهذه العملية.. لم أهتم وقبلت بهدوء..

بل ببرود.. كنت فاقدًا للإحساس..

مع أنها عملية نسبة الخطر فيها كبيرة.. وكنت أعلم ذلك..

إلى أن جئت إلى هنا في المستشفى.. لتحضيري للعملية الجراحية..

وجعلوني أنام على ظهري.. مجردًا من الثياب تقريبًا..

حينها فقط بدأت نيران الخوف تلهب قلبي.. أتمنى لو أنني استطعت الفرار..

لكنهم ساقوني إلى غرفة العمليات..

وبعد ساعات طويلة.. ربما كانت في الحقيقة مجرد دقائق أو حتى ثوان..

لا أدري..

ابتلعني الظلام.. ليمنحني نومًا هادئًا..

أذلك هو النوم الأبدي فعلاً؟ لا أدري.. لا أمتلك طاقة لأدري..

وابتلعني اللاوعي.. ابتلعني لأفقد مسار الزمن وهوية المكان..

وبعدها..

لا شيء..

وفجأة وجدت نورًا مبهرًا وضاءً..

نورًا أبيض.. يعجز البصر عن احتوائه.. أؤمن بأني لم أرَه في حياتي..

هل انتقلت فعلاً للحياة الآخرة الأبدية؟

أبالفعل أتمت روحي انتقالها.. وتركت جسدي بالدنيا؟

لا..

لا أريد أن أغادر الدنيا الآن..

لا أريد أن أحاسب.. نعم أؤمن بأني سأحاسب..

فقط.. أريد فرصة أخرى..

كنت مغرقًا بالخطايا.. لا أريد أن أعذب للأبد..

كنت في الدنيا أتعذب في داخلي..

فقط لو أن هناك فرصة أخرى..

وما زال ذلك النور المتوهج أمامي..

لا يرحمني..

لا يرحمني من عذاب خوفي..

خوفي هو عذاب قبل العذاب..

وقد انقلب خوفي إلى رعب..

رعب حقيقي.. يعذبني

أكثر فأكثر..

وفجأة..

شعرت بيد تمسك بذراعي اليسرى..

تنتشلني من وسط النور القاسي..

وبدأ التوهج يقل..

حاولت النظر إلى يساري.. فرأيت بصعوبة..

رأيت الطبيب ينظر إليَّ بهدوء.. وعلى وجهه ابتسامة صغيرة..

نظرت ناحية ذلك النور مجدداً.. لم أرد أن أفعل..

ولكن كان عليَّ ذلك..

ورأيت توهجه ما زال يقل.. إلى أن رأيت مصدره الحقيقي..

لقد كان كشاف غرفة العمليات..

ما زلت في غرفة العمليات..

أظن العملية قد نجحت..

وما زلت في الدنيا..

وأمامي الفرصة..

فرصة أخرى..

* * *

فجأة..

أصبح بين يدي كتاب لأقرؤه..

ومن الطبيعي التساؤل: من أين حصلت عليه؟!

في الحقيقة.. لقد استعرته..

نعم..

استعرته من صديق لي.. اكتشفت صدفة أنه يحب القراءة!

وأن لديه بعض الكتب المتنوعة سبق أن أنهى قراءتها..

فطلبت منه أن يعيرني كتابًا..

أي كتاب!

وقد وافق..

وهكذا أصبح عندي كتاب لأقرأه أخيرًا..

بالطبع أفضل أن يكون الكتاب الذي بين يدي هو ملكي بحق..

ولكن..

لا بأس بالاستعارة..

لا بأس بها على الإطلاق.

وتوقفت عن القراءة..

ونظرت إلى الساعة المعلقة على حائط غرفتي التي أجلس فيها وحدي مع كتابي "المستعار".. لأجد أنها..

الساعة الثامنة..

موعد عرض المسلسل التركي..

وعلى الفور..

لم أفعل شيئًا!

غير أني قررت أن أبقى جالسًا وحدي مع الكتاب الذي يؤنسني..

في غرفتي..

وعلى العموم..

فأنا أعلم أنه حتى هكذا لن يفوتني الشيء الكثير من المسلسل عامة..

فبعد متابعة أسبوعين كاملين لمسلسل تركي..

كونت رأيًا جديدًا عن المسلسلات التركية..

وهو أني كنت على صواب جدًّا..

في..

رأيي القديم!

وحتى لو أشعر أن هذا المسلسل بالتحديد مختلف بعض الشيء.. وفي حال شعرت أني أريد متابعته مرة أخرى..

فلا بأس..

فقد أنقطع عن مشاهدته في الحلقة العاشرة.. وأرجع لمشاهدته في الحلقة السبعين..

ولن يفوتني بذلك شيء من قصته..

لأنه ببساطة..

ليس هناك..

قصة..

من الأساس..

* * *

ما زلت أداوم على نشر كل قصة أكتبها على الإنترنت..

وما زلت حريصًا جدًّا على تفقد آراء كل من قرأها..

خاصة آراء من لهم صلة بالكتابة..

وبالأخص أكثر.. تلك الكاتبة الشابة التي بدأت تقرأ قصصي أصلاً من على الإنترنت.. والتي تتابع قصصي بانتظام..

في الحقيقة..

كانت حتى ذلك الحين مجرد كاتبة هاوية.. لم ينشر لها شيء من قبل..

ولم تدخل طريق احتراف الكتابة بعدُ..

ولكن هذه المرة..

فوجئت من على الإنترنت أن لها مجموعة قصصية ستصدر قريبًا.. وأنها الآن تحت الطبع..

كان الأمر مفاجأة بالنسبة لي..

فقد كنت أعتبرها هاوية في مجال الكتابة مثلي..

لكنها فجأة.. لم تعد كذلك..

وبشعور غريب.. ربما كان طفوليًّا..

أحسست أنها قد انتقلت إلى عالم الاحتراف.. وتركتني في عالم الهواية..

تركتني وحدي!

ولكني فقط..

باركت لها..

وقلت في نفسي:

عسى أن يحين وقتنا!

الفصل الثامن

أخرجت قصصي من درج مكتبي الذي أحفظها فيه.. وفرزتها أمامي..

وأخذت أنظر إليها وأقرأ بعض السطور من كل قصة وأعدها.. مع أنني أعرف عددها بالفعل..

يعجبني بعض ما كتبت.. لكني أشعر أن ما وصلت إليه لا يزال لا شيء..

فعدد قصصي هو عشر قصص فقط..

ولكن.. على الأقل يبدو لي أنني قد وضعت قدمي على أول الطريق.. وثبتُّ قدمي عليه..

طريق مستقبلي الذي بت لا أحلم إلا به..

ولا أرضى بغيره مستقبلاً..

وأصبح واضحًا لي أن مستقبلي سيكون متلخصًا في كلمة واحدة..

وهي..

الكلمة..

نعم..

أحسبني وضعت نفسي على أول الطريق..

الطريق إلى أن أصبح كاتبًا..

وقد كنت من قبل أتخوف من توقف إلهام الكلمات إليَّ..

ولكني بعد تدبر.. أدركت أنه بما أن الكلمات هي عطاء من الله..

فالخوف من منع عطاء الله هو في كل شيء وليس في الكتابة فقط..

فكل شيء في هذا الكون هو من عطاء الله وخلق الله – سبحانه وتعالى – إن شاء أمده وإن شاء منعه..

فأصبحت أدرك أنه لا مبرر لهذه التخوفات..

فقط كل ما عليَّ هو أن أستعيذ بالله من منع عطائه..

وأدعو الله أن يرزقني كلمة الحق وكلمة الصواب دائمًا..

وأمضي في طريقي الذي أشعر براحة نفسي فيه..

ولكن.. ها أنا أتساءل:

ما الذي دفعني لأتجه هذا الاتجاه؟!

ما الذي دفعني لأتجه ناحية مصاعب الكلمة ومشاق مسئوليتها؟!

مع أنه كان واضحًا جدًّا بالنسبة لي منذ أن كنت على مشارف البداية أن العكوف على القلم والورقة ليس له الكثير من الأيادي التي تصفق..

وليس له الكثير من الأفواه التي تهلل..

بل.. وليس له الكثير من العيون التي تصبر على قراءة ما كتبه القلم على الورقة..

على الأقل..

ليس بمقياس زمننا هذا في بلدنا هذا..

ولكن..

قد تأكد هدفي في نفسي بالفعل..

فكما أن الكتابة تحتل جزءًا كبيرًا من حاضري..

فستحتل جزءًا أكبر من مستقبلي..

فأظن أن هذا هو ما خلقني الله لأجله..

خلقني من أجل مسئولية الكلمة..

وأظن أنني أدرك تمامًا أنه حتى حينما سأكون كاتبًا كبيرًا قد كتب

الكثير وطبع له الكثير..

ليس من العقل التوقع ضرورة أن أكون مشهورًا.. يعرفني الناس ويحفظون اسمي في عداد الرجالات العظماء!

فمثلاً.. تلك الكاتبة الشابة التي قلت أنا عنها إنها "دخلت عالم احتراف الكتابة"..

هل بعدما يصدر كتابها الأول هذا ستصبح مشهورة؟!

بالطبع لا..

بل وربما لن تصبح مشهورة أبدًا بين عموم الناس.. وحتى بعد كتابها العشرين!

والأمر ليس له علاقة بمستواها هي أو بمستوى ما تكتب..

لكنها عادات مجتمع..

مجتمع تعوَّد ألا يقرأ..

فكيف يهتم بمن يكتب؟!

إلا إذا..

تغير الزمان..

أو تبدل المكان..

أو حدث الاثنان..

وتغيرت عادات الناس أيضًا..

ولا يمكنني الآن فقط غير أن أرى ذلك في خيالي..

خيالي وحسب..

وأرى تلك الشابة وقد اشتهرت..

ففي خيالي.. بإمكاني أن أراها كاتبة مشهورة كشهرة نجوم الفنانين أو لاعبي الكرة!

يبدو خيالاً هزليًّا..

أو خيالاً من درب الجنون!

وتساءلت:

ما الذي دفعني من الأساس للاهتمام بالكتابة؟

وما الذي يدفع أي شخص أن يهتم بالكتابة؟

لا بد أنه شيء يبدأ نموه داخل الإنسان منذ الصغر..

شيء وُضعت بذوره في بداية تكوين إدراك الإنسان عن الحياة عامة..

شيء وضعت بذوره..

في الطفولة.

ولكن.. أنا على سبيل المثال..

ما الذي وضع تلك البذور داخلي في طفولتي؟

كيف حدث ذلك بالضبط؟

وبدأت ذكريات طفولتي تتوالى تدريجيًّا أمام عيني..

وأدركت أنه كان في طفولتي فعلاً ما زرع في قلبي ذلك الشيء..

ذلك الشيء الذي يدفعني..

إلى اللجوء إلى الكلمة..

والذي دفعني لأضع نفسي على أول الطريق..

وهو يكبر يومًا بعد يوم.. كلما كبرت أنا..

وكلما زاد إدراكي عن كل تفصيلة في الحياة..

نعم..

أصبحت صورة تلك الذكريات واضحة أمامي الآن..

أصبحت واضحة لدرجة أنها أصبحت كمشاهد متتالية أتذكرها بسهولة..

والتقطها خيالي ليبدأ ببناء بعض اللمسات الخيالية فيها..

وتخـتلط تلـك المـشاهد في خيـالي مـع مـشهد "الكاتبـة الـشابة المشهورة"..

لتكوِّن مشهدًا واحدًا منسجمًا..

وتشكل فكرة في عقلي..

فكرة..

قصة قصيرة..

ووجود الفكرة في عقلي..

ألهب الحماسة في صدري..

وذهبت إلى..

مكتبي كالعادة..

وأمسكت قلمي كان الله في عونه..

ورتبت أوراقي التي مع ذلك لا تترتب أبدًا!

وكتبت..

هي صرخة عُمْر

* * *

"من فضلكم.. سأجيب عن جميع أسئلتكم.. ولكن فلتسألوا سؤالاً سؤالاً"..

قلت الجملة الأخيرة وقد مللت من أسئلة الصحفيين المتكررة والمتداخلة..

وبلغت من الضيق ما بلغت من وميض عدسات الكاميرا التي تومض من كل جانب في قاعة المؤتمر..

ولكن.. لِمَ قد أصابني الملل؟

ولِمَ قد أبلغ من الضيق شيئًا؟

أليس هذا هو الذي أردته طوال عمري تقريبًا..

أن تكون لكلماتي قيمة.. فيطلبها الناس.. وتبلغهم؟

أليس ما تمنيته هو أن أوصل صوتي لكل من يمكن أن يصل إليه؟ منذ أيام الطفولة..

ومنذ تلك المرات..

منذ أن كنت طفلة أحببت الجلوس مع الكبار والراشدين.. والاستماع إلى أحاديثهم.. بل والمشاركة فيها بإبداء آرائي الطفولية الصغيرة..

لكنهم لم يكونوا يستمعوا إليَّ أبدًا.. بل وكانوا يشعرونني كأنني أتحدث إلى نفسي فقط!

ما زلت أتذكر تلك المرات..

حين كنت أبدأ في الحديث عن رأيي مع من هم أكبر سنًّا من عائلتي..

وللحظة كنت دومًا أشعر أن هناك من يسمعني.. للصمت الذي كنت أجده لحظتها.. فأبتهج وتأخذني الحماسة..

وانخرط في حديثي أكثر وأكثر..

إلى أن يقاطعني أحدهم ببرود ليتحدث عن موضوع آخر تمامًا!

وأكتشف أن لحظة الصمت تلك.. لم تكن إلا لحظة شرود منهم!

وتكرر ذلك الموقف المعتاد في الطفولة.. لكنه كان مؤثرًا في نفسي أنا..

تكرر مرات ومرات..

حتى اعتقدت أني خرساء لا أستطيع النطق على الإطلاق!

وقد كانت لي فترة في طفولتي.. كدت أعتقد فيها أنني مجرد خيال.. وأنني لست موجودة في الواقع أصلاً!

أو أنني أحلم أحلام اليقظة.. وأتخيل أني تكلمت.. وفي الحقيقة لم أنطق بحرف واحد!

لكن في النهاية بلغ مني الضيق أقصاه..

ونال مني الاستياء وأماتني.. لدرجة أنبتت فيَّ عزمًا مستميتًا ليحييني من جديد..

وفي حماسة الفتاة التي تكاد تنهي مرحلة طفولتها وعلى أعتاب مراهقتها..

عكفت على الكتابة..

وتعرفت على القلم والورقة.. أعز صديقين لي..

واكتشفت أنهما الوحيدان المستعدان دومًا لتقبل آرائي تمامًا.. واستيعابها دومًا..

أحببتهما.. وزادت صلتي بهما أكثر وأكثر..

وتمر الأيام والسنين وأنا أكتب كلمات أكثر..

وأستهلك من صديقيَّ المخلصين ما أستهلك.. وفي المقابل..

يمدانني بشيء أعيش من أجله..

شيء دومًا يحييني من جديد..

قد كانوا تارة يقولون لي إن لديَّ موهبة داخلي..

وتارات يقولون لي إن ما أفعله هو تضييع للوقت.. ويدعون لي بالهداية القريبة..

لكنني لم أكن أهتم.. فلم أكن لأستغني عن صديقي المستعدَّين للإخلاص لي إلى الأبد..

وآمنت أنها لم تكن مجرد هواية أو موهبة..

آمنت بأنها مهمة.. ورسالة..

فإذا كان الله قد أعطاني للكتابة حبًا وشغفًا.. فلا بد أن لذلك سببًا..

وآمنت أن عليَّ مواجهة كل ما يقف في طريقي من أجل ذلك..

فالكتابة تكاد تكون هي السبب الوحيد لبقائي في هذه الحياة..

وعلى هذه الحالة.. أكملت..

وفي هذا الطريق.. سرت..

أتعثر في صخور الإحباط.. وأقع كثيرًا..

ولكن دومًا.. يكون هناك القلم.. يمد يده إليّ..

إلى أن أصبحت كاتبة..

كاتبة محترفة..

تُنشر لي الكتب والقصص وا لمجلات..

وتشغلني المؤتمرات واللقاءات..

نعم.. أعرف الآن كيف أصبحت كاتبة..

وكيف لي الضيق الآن.. وأنا أعلم أنها صرخة..

صرخة تمنيتها منذ طفولتي..

صرخة تمنيتها طوال عمري..

نعم.. إنها..

صرخة عُمْر..

* * *

مفاجأة!

حقًا..

إنها مفاجأة..

مفاجأة سارة.. ومذهلة..

أخيرًا..

سينشر لي شيء كتبته بيدي أنا!

ستنشر قصصي للمرة الأولى..

نشرًا حقيقيًّا.. ورقيًّا ومطبوعًا..

والحكاية من أولها أنني عرضت قصصي التي كتبتها على دار نشر لتنشر كمجموعة قصصية..

وقد وافقوا!

بدا لي الأمر بسيطًا.. لدرجة أنني استغربت جدًّا..

سينشر لي كتاب مكتوب عليه اسمي!

ويطوي بين غلافيه كلماتي التي كتبتها أنا.. والتي أخيرًا سيستطيع عدد أكبر من الناس الاطلاع عليها..

وربما سيضعون صورتي على الغلاف أيضًا!

ولن أبالغ وأقول: "وسأصبح مشهورًا"!

لأن هذا لن يحصل..

على الأقل ليس الآن..

ربما سيحصل بعد أن أكون قد قطعت طريقًا طويلاً في عالم الكتابة وعالم الكلمة..

وسيكون ذلك بعد سنوات طويلة..

ولكن..

حتى يأتي ذلك الحين.. وفي أثناء ذلك الحين.. وما بعد ذلك الحين..

وإلى الأبد..

سيظل هدفي من وراء كلماتي هدفًا واحدًا..

هو إمتاع القارئ وإيصال فكري إليه..

وألا أُشعر القارئ ولو للحظة واحد أن كلامي فارغ لا محتوى له ولا هدف..

أما قمة أمنياتي..

فهي ألا يأتي اليوم الذي يعجز فيه قلمي أن يكتب كلمة حق أبدًا..

أو أن يعجز قلمي أن يكتب ما في قلبي..

ولذلك..

قد جندت نفسي من الآن للقلم والورقة..

وأصبحت..

"جندي مجند"..

للتواصل مع الكاتب

www.facebook.com/Gondi.Mogannad





جندي مجند



إسلام صلاح

" وتذكر دائما الا تترك الكتابة ولا تبتعد عن صحبة القلم والورقة، ما دام لديك شغف بهما.. واعلم جيدا أن في طريقك من سيخبرونك ان ما تفعله هو مضيعة للوقت.. ومنهم من لن يهتم اصلا.. فلا تجعل تحقيق ما تريده في حياتك، معتمدا على من حولك.. ومع معايشتك للكتابة اكثر ستدرك ان الكتابة هي رسالة ومهمة.. وان الكلمات هي عبء ثقيل، لان الكلمات ببساطة.. هي التي تبقى".

هكذا نصحت شابة، شابا صغير السن اكتشف حبه للكتابة.. وشغفه للقلم والورقة.. وقرر ان تكون الكتابة هي الهدف الأساسي له في الحياة..

فما سر حبه للكتابة؟..

وكيف سيكون طريقه إلى هدفه؟..

هذا ما سنعرفه من خلال احداث (جندي مجند)

مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري. كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرا، إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصا منها على استمرارها في دورها، وإيمانا منها - كما عهدتموها - بالشباب الموهوب..

ليصبح بين أيديكم، هذا الكتاب.

الناشــر



